14 me Année No. 668

Lundi—22—4—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

يوم عظيم لسورية العظيمة !

وأى يوم أعظم من يوم الجلاء : جلاء المحتل عن أراضى الوطن ، وجلاء الذل عن نفوس الناس ؟ ولكل أمة جعل الله من نوره هذا اليوم ، يشرق فى أمسها إشراق العيد ، أو يمض فى غدها وميض الأمل . وهو أجلٌ من آجال الله إذا جاء لا يُؤخر! إنما يسبقه ليل طويل بالألم ، مظلم باليأس ، مرعد بالهول ، مطلول بالدم ، هَواديه خطوب وأعجازه ضحايا !

ولقد كان ليل سورية الباسلة من أطول هذه الليالى وأهولها ! كابدت فى أوائله مشانق جمال ، وفى أنصافه مدافع غورو ، وفى أواخره قواذف أليفا روجيه !

ثم خفقت أشباح الشهداء بيضاً على حواشيه ، ولمعت بروق الآمال تباعاً بين غواشيه ، فانصدع الظلام المكفهر ، واستبان الطريق المبهم ، واستطاع المجاهدون الجاهدون أن يسمعوا على مآذن (الأموى) : حى على الفلاح ، وأن يبصروا تباشير الفوز على غرة الصباح !

وفى الصباح المسفر حدت سورية الحبيبة سُراها الطويل المرهق ، فضمدت جروحها الدامية ، وكمّدت جفونها القريحة ، ثم ذهبت إلى (المزة) فركلت آخر جندى من جنود الاستعمار ورفعت فوق مطارها العلم ، ورجعت إلى (النوطة) فحملت ورودها الجنيّة إلى قبور الشهداء وعزفت أمامها النشيد . ثم خرجت فى زينتها وبهجتها تستقبل وفود الدول العربية التى جاءت تشاركها السرور فى يوم حريتها المشهود وعيد استقلالها المشترك . ثم أطلقت لنفسها المحتشمة عنان الفرح والمرح ، فصدحت شوارعها بالأهازيج ، وهتفت منازلها بالأغانى ، ودوّت مساجدها بالأدعية ، وفاض النور والحبور على دمشق وأخواتها ، فخلون عن أنفسهن فى يوم واحد ما ركبته المحن والأحداث فى قرون !

حيّاك الله يا سورية ! لولا ليلك الطويل الحالك ما أسفر لك هذا النهار الضاحك ! ولولا جهادك الصادق الصابر طيلة ربع قرن ما أتم عليك الله هذا النصر المؤزّر ! ولولا دماؤك المسفوحة على ثرى وطنك الغالى ما جنيت هذه الثمرة التى تتحلب لها الأفواه فى أكثر الدول ! ولكنك يا سورية خرجت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ! خرجت من جهاد الطمع والعدوان فى غيرك ، إلى جهاد الهوى والأثرة فى نفسك ! والانتصار على العدو الخارجى سهل كالانتصار على الداء الظاهر ، ولكن الانتصار على العدو الداخلى صعب كالانتصار على الداء المضمر . والمجاهدون فى سبيل الوطن لا يبتغون عاجل الثواب ؛ فإذا سول لهم الشيطان أن يبتغوه وكَلَهم الله لأنفسهم فيخسرون ما ربحوا ، ويفسدون ما أصلحوا ، ويسلبهم الله مجد الجهاد فلا ينالون سعادة هنا ولا شهادة هناك !

ما أزهى نفوسنا بجلاء المحتل عنك يا سورية ! وما أبهج قلوبنا بكشف الغمر عنك يا دمشق ! فهل آن لأكدار النيل أن تصفو يا بَرَدَى ، ولعار « التل الكبير » أن يُغسل يا مسلمون ؟ !

ابن عبد الملك

الأزهر فى مفترق الطرق

كان الاقتراح الذى عرضناه على مشيخة الأزهر ووزارة المعارف لحل مشكلة الأزهر رجع واحد فى مختلف البيئات هو الشايعة على الأصل فيه والاتفاق على الغاية منه . والأصل فيه توحيد التعليم الابتدائى والثانوى بين أبناء الأمة ؛ فلا يكون الفرق بين المتوجهين إلى الدين أو إلى اللغة ، إلا كالفرق بين المتوجهين إلى الحقوق أو إلى الطب . والغاية منه تجديد الأزهر ليساير الزمن ، وتنظيمه ليزامل الجامعة ، فيخرّج للعالم العربى كله رجالا الدين وعلومه أو للغة وفنونها يكون لهم ما للجامعيين من فضيلة المشاركة ومزية الاختصاص . إنما كان الاختلاف فى مدد الدراسة ، أو عدد الكليات ، أو حظ القرآن من المناهج ، أو تصفية الحال القائمة ، وهو اختلاف فى الفروع لا فى الأصل ، وفى الوسائل لا فى الغاية . والذى يعنينا الآن أن يقبل القائمون على أمر الأزهر هذا الاقتراح . فاذا قبلوه أمكن المختصين والمفكرين يومئذ أن يديروا الرأى فيه فيفصلوا المجمل ويكملوا الناقص .

على أن أخوف ما أخافه على هذا الاقتراح أن يطول استئذانه على المكاتب الرسمية حتى يُنسَى ، أو تحول بعض الحوائل النفسية دون النظر فيه حتى يهمل . والشائع الذى يثبته الواقع أن الرأى أو الأمر إذا لم يدل عليه إلحاح الضرورة ، أو يدفع إليه ضغط الحوادث ، لا يخطره أحد بباله مهما كان أثره فى سياسة الدولة أو خطره على حياة الأمة . والأمر من قبل ومن بعد إنما يعنى شباب الأزهر ، فاذا تركوه رهن الطوارق أو جعلوه فى أيدى المقادير ، ظلوا كما كانوا : طلابا من غير علم ، أو علماء من غير عمل .

الأزهر يقف الآن فى مفترق الطرق ، ولا يذهب به إلى الأمام إلا طريق واحد ، فاذا ضله رجع إلى الوراء أو خبط فى مجاهل الأرض لا يصيب غرضاً ولا يبلغ غاية . والنتيجة الحتمية لهذه الحال أن ينتقل معنى الأزهر إلى الجامعة ويبقى لفظه المبارك حيث كان . ومن بوادر هذا الانتقال المنوى انضمام دار العلوم إلى جامعة فؤاد الأول ؛ فان معنى ذلك الانضمام سلب الاختصاص اللغوى من الأزهر . ولن يجدى على كلية اللغة العربية ما يمدونها اليوم من التسوية بينها وبين دار العلوم فى معهد التربية ؛ فان دار العلوم ستفيد من نفوذ الجامعة ونُظمها ما يوسعها ويعمقها حتى تستوعب شؤون العربية وآدابها استيعاباً لا يترك وراءه فضلة

بقى الاختصاص الدينى للأزهر ، والكلام فى سلبه جديد قديم لا يزال يتردد على أفواه ذوى الرأى كلما فكروا فى توحيد القضاء الأهلى والشرعى والمختلط ؛ فهم يشيرون بأن تتعمق كلية الحقوق فى تدريس الشريعة ليستطيع المتخرجون فيها أن يكونوا قضاة أو محامين فى الدوائر التى ستنشأ للأحوال الشخصية فى كل محكمة أهلية ، شأنهم فى ذلك شأن زملائهم فى الدوائر المدنية والتجارية والجزائية .

أما أصول الدين فقد فكرت كلية الآداب — وأظنها لا تزال تفكر — فى أن تنشىء لها معهداً أو كلية تدرسها على المنهج الجامعى فى التقصى والاستيعاب والموازنة . فاذا أصبح تراث الأزهر نهباً مقسماً بين كليات دار العلوم والحقوق والآداب ، وأضفت إلى ذلك أن التعليم الابتدائى والثانوى سيكون كله بالمجان — والمجانية ميزة الأزهر — شككت فى أن يتقدم بعد ذلك اليوم إلى المعاهد الدينية طالب يريد أن يتعلم ليعيش .

الأمر إذن جد ؛ وجده أخطر من أن يعالج بالتهوين أو التسكين أو المطل . وليس من الإخلاص للأزهر أن نقول إن علوم الدين والدنيا فيه ، وأن له من جلالة الأثر فى نفوس المسلمين ما يقيه ويكفيه ؛ فان « المجاورة » بمعناها الموروث عهد قد انقضى والتعبد بدراسة الفقه للفقه تقليد قد مضى ؛ وانتقال القيادة العالم اليوم إلى رجال العلم الخالص أمر يبعث على طول التفكير فى إعداد النشء لمجابهة الحياة بأنظمتها المتنوعة وأسلحتها الجديدة . والكلام الآن للشباب من الأساتذة والطلاب ، فإلى هؤلاء وهؤلاء نسوق الحديث . والحزم الجدير بأهل الذكر أن ينضجوا الرأى فى هذا الاقتراح قبل أن يجاوزوا (منعرج اللوى) ، فإنى لأخشى ألا يتبين وجه الرشد فيه إلا بعد ذهاب الفرصة وزوال القدرة . وإن فيما يفاخر بهم الأزهر من أمثال الأساتذة : شلتوت وعرفة والجبالى والنمراوى ودراز وأبى العيون والمراغى والمدنى والبهى والصعيدى لَمَن ربأ بهم أن يتركوا جامعتهم القديمة العظيمة فى مهب الأعاصير تزلزل أركانها وتهدد كيانها ، وقصارى ما يملكون لها دعاء لا يصنع معجزة ، أو بكاء لا يدفع مضرّة !

أحمد حسن الزيات

بطون جائعة وأموال ضائعة

للأستاذ علي الطنطاوي

ولد لي في هذا الأسبوع مولود جديد ، فأهدى إلى أمّه أكثر من عشرين علبة شكولاتة ، من هذه العلب التي جدّت في دمشق ، وصارت (مودة) الوقت ، كل علبة منها لعبة كبيرة بأشكال وألوان ، ما عرفناها قبل الآن ، منها ما هو على صورة طيارة بأجنحتها وذنبها ومحركاتها ودواليبها ، ومنها ما هو على شكل عربة بخيولها ولجمها وسائقها ، كل ذلك مصوّر مشكّل دقيق الصنعة ؛ ومنها ما هو على هيئة سرير له فراش ووسادة من الحرير ، وفي كل منها قبضة من السكر والشيكولاته ، وهي ملفوفة بالورق الصقيل الشفاف ، معقود عليها شريط من خالص القزّ ، لايقلّ ثمن إحداها عن عشرين ليرة سورية ... فلما ذهبنا نفتحها نقطع الشريط ونمزّق الورق ... ثم نسلمها منا أولاد الدار ، وأبناء الضيوف ، لأنها لعب خلقت لهم لا للكبار ، فلم تكن إلا أيام حتى تكسرت في أيديهم ، وكيف لا تتكسر وهي مصنوعة من قطع الخشب الملون الملصق بعضه ببعض ، لا تحتمل صدمة ولا نقرة ؟ وعادت حطباً انتهى به الطريق إلى المدفأة ، فاحترقت أربعمائة ليرة كان يمكن أن يشترى بها من (خبز البلدية) عشرون ألف رغيف[1] ، ومن الثياب النسائية المستعملة (التي توزعها وزارة التموين) أربعمائة ثوب ، ويمكن أن يتزوج بها من الفقراء أربعة رجال ... هذا رأيي رجل معتزل الناس لا أديم مواصلتهم ، ولا أؤدي حقوقهم ، خارج على مواضعاتهم ، ثائر على عاداتهم ، لا أصنع إلا ما أجده نافعاً معقولا ، ولي من جرأة جناني ، ومضاء لساني عاصم من لومهم وتعنيفهم ، وهذا هو المولود الثالث لا الأول ، فكيف تكون الحال لو كنت من الأثرياء الذين يخالطون الناس ، ويقومون بحقوقهم ؟ وكيف لو كان المولود صبياً بكراً ؟

ففكروا كم ننفق من الأموال في أشياء لا يأتي منها خير ، وما في تركها ضرر ، ونحن نشكو الفقر والمرض والجهل ؟

أعرف رجلا تزوج فأهدى إليه يوم زفافه ، من أصدقائه وصديقاته وأقربائه وقريباته ، مائة وست عشرة باقة زهر ، ثمن أدناها خمس ليرات ، وقد يبلغ ثمن أعلاها العشرين ، فحار أولا أين يضعها ، ومن أين يأتي لها بالكؤوس والأواني ، ثم بدا له فجعلها حول سرير العروسين ، فكان لها منظر رائع خلاب ، ثم مرت الأيام ففسدت وجفت فاستأجر رجلا يحملها ليلقيها في إحدى ... المزابل !

ألف ليرة تلقى على مزبلة ، ونصف الأمة يتضوّر جوعا ! !

وأعرف آخر من التجار أبى له سفهه وتبذيره وكفره بنعم الله إلا أن يوزع السكر على نحو خمسمائة مدعوّ لحضور عقد ولده في علب من الفضة في كل منها صحن من البلور ، لا أدري من أين جاء بها فما في بلدنا منها ، قالوا ، إن ثمن الواحدة منها خمس عشرة ليرة ، فهذه سبعة آلاف وخمسمائة ليرة ، دون باقي المصروفات ، في الفرش والزينة والثياب .. وإن من نساء هؤلاء التجار الفجار الأشرار من تشترى المعطف الواحد بألف ليرة ، وإذا لم تصدقوا فاسألوا تجار الفرو !

والتبذير في أتراح هؤلاء الأغنياء لا يقل عنه في أفراحهم ، فلا تخرج جنازة أحدهم حتى يمشي معها رجال المولوية بقلانسهم التي تشبه علب اللبن ، وثيابهم التي تحكي إذا داروا المخاريط الناقصة التي وصفوها لنا في درس الهندسة أيام المدرسة ، ولا يمشون حتى يقبض شيخهم الرسم المقرر ، خمسمائة ليرة ... وأمام الجنازة الآس والحناء ، وبعدها حفلة (التنزيلة) ، ثم (الصباحية) و (العصرية) وللنساء فيها كسوة خاصة تشترى من أجلها ، فلا يصل الميت إلى القبر حتى ينفق عليه إن كان من الموسرين خمسة آلاف ليرة ، ما أنفق قرش واحد منها في طاعة الله !

وإن حول كل دار من هذه الدور التي تهدر فيها الأموال لساكن فيها ناس مثلنا ، من بني آدم ، من إخواننا في الدين وفي الوطن ، وفي اللسان ، يشهون عشر معشارها ، أو أقلّ منه ليشتروا به طعاماً يملأ بطون أولادهم ، وثياباً تستر أجسادهم ، وإن لهؤلاء الناس (لو عرف الأغنياء !) عيونا تنظر كعيوننا ،

(١) ذلك لأن البلدية في دمشق تبيع الخبز للفقراء ، كل كيلو بعشرة قروش ، فالطن منه بمائة ليرة فقط !

وقلوبا تتألم كقلوبنا ، ولهم بنون وبنات هم قطع أكبادهم ، وهم على هلهلة ثيابهم ووساخة أبدانهم أحبّة إليهم أعزة عليهم كعزة أولادنا علينا ، وربما كانوا أزكى من أولادنا نفوساً وأطهر ، وأذكى عقولا وأمهر ، وكانوا أرضى لله وأنفع للوطن منا ، ولكن الفقر عطل قرائحهم ، وكفّ أيديهم ، وكبل أرجلهم . إن هؤلاء وإن لم يكن في أعراسهم باقات الزهر ، ولم يكن في جنائزهم مولوية ولا آس ، ولم يعرفوا طريق المدارس واللاهي ، ولم يزهوا بغالي الثياب ، ولم يتمددوا على أرائك السيارات ، ولم يعرفوا المشيخة التي يأكلون بها الدنيا بالدين ، ولا الزعامة التي يجمعون بها المال بالوطنية ، إنهم هم عماد هذا الوطن ، وهم جمهرة أهله ، وهم يزرعون القمح ويقدمونه إلينا ثم يعيشون على الذرة والشعير ، وهم يبنون لنا القصور ثم يقيمون في الأكواخ مع البقر والحمير ، وهم يصنعون بأيديهم الشيكولاتة التي لا يذوقونها ، ويحيكون الثياب التي لا يلبسونها ، وهم يسهرون في الطرقات ليحرسونا ونحن نيام ، وهم يمشون إلى الميادين ليدافعوا عن أوطاننا ونحن آمنون ، وهم قد دفعوا ثمن الاستقلال مهجهم وأرواحهم ، ثم لم يأخذوا من خيراته شيئاً ...

إن هؤلاء هم ركن الوطن وعماده ، وهم أهله وقطانه ، فحرام علينا أن ننساهم ونهملهم ! حرام أن تبقى هذه الأموال ضائعة ، وهذه البطون جائعة ! حرام في دين الله ، وفي شرعة الانسانية ، وفي قانون الشرف ، فأين المصلحون ، فأين المصلحون ؟ أين رجال الجمعيات ؟ أين أرباب الأقلام ؟

لقد كنت أصفّح (أعداداً) عتيقة من مجلة الهلال ، فوجدت في (عدد) منها أن في بلاد السويد جمعية اسمها (جمعية أمناء الأزهار) عملها جمع الأموال التي يشترى بها أهل الميت وأصدقاؤه باقات الزهور التي تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ، وإنفاقها في بناء مساكن صحية للعمال والفقراء ، يسكنون فيها بأجر يسير ، وأنها أنشأت (إلى تاريخ ذلك الخبر) نحواً من ألف مسكن .

فلماذا لا يكون فينا رجال مثل رجال هذه الجمعية ، يأخذون المال من هنا ، فيضعونه هناك ، فيصلحون به أخلاق الأمة بانقاذها من داء التبذير والأثرة والمفاخرة بالباطل ، ويدفعون عن أغنيائها حسد فقرائها وبغضاءهم ، ويعودون عليها بالخير لها في أجسادها وعقولها وصناعاتها وحضارتها إذ ينفقون هذا المال فيما هو أولى به من وجوه الاصلاح ؟

لماذا نأخذ عن الأوربيين السم وندع الترياق ؟

كم ينفق في الشام ومصر والعراق وسائر بلدان هذا الشرق الإسلامي في الزفاف وحفلاته ، والمأتم وملحقاته ... والأعياد والمواسم وأيام الولادة والختان ، فيما لا ينفع أحداً ألبتة ، ولا يعود عليه بفائدة ، ولا تناله منه فائدة ؟

حتام تهدر الأموال ويراق الذهب ، اتباعا لعادات قبيحة وتقليداً كتقليد القردة ، وجمهور هذا الشعب يشكو الفقر والمرض والجهل ؟

هل تذهب بشاشة العيد ويمحّى رواؤه ، لو اصطلح الناس فيه على تقديم السكر الملبّس الوطني بدلا من الشيكولا وصرفوا فرق الأثمان في بناء مدرسة أو مستشفى في كل بلد

هل يبطل أنس العرس ، وتضيع بهجته إذا لم يكن إلا باقات من الزهر ؟

هل يكتب على العروسين الشقاء الدائم إذا وزعت الحلوى على المدعوّين في قراطيس بدلا من العلب ؟

هل يحرم الميت التقي من نعيم الجنة ، ويضاعف على الشقي العذاب إذا لم يمش في جنازته رجال الطريقة المولوية التي لا يقرها بها عقل ولا نقل ، ولا يقرّها شرع ولا طبع ؟

فالى متى نضيع أموالا نحن اليوم أحوج إليها من كل يوم مضى لأننا في عهد تجديد وبنيان ، ولأننا في أول طريق الاستقلال

فيا أيها الأغنياء لا تغتروا فان النعم لا تدوم ، وإن بعد اليوم غداً ، وإن بعد الحياة موتاً ، وإن بعد الموت لحساباً عسيراً أمام رب الأرباب الذي خلقكم وخلق الفقراء من طينة واحدة لم يخلقهم من التراب ويخلقكم من الأسمنت المسلح ... ولم يميّز عنهم إلا بمال أعاركموه ليكون محنة لكم وليطول عليه حسابكم

ويا أيها المصلحون هذا باب من أوسع أبواب الاصلاح فلجوه بارك الله فيكم إن فعلتم ، وأيدكم .

ويارب منك أنت التوفيق ، فأعطِ المخلصين مقدرة ، وأعط القادرين إخلاصاً ، فانا نشكو إليك شكاة عمر : ضعف التقي وفجور القوي !

(دمشق) علي الطنطاوي

على هامش النقد :

همزات الشـــياطين

مجموعة أقاصيص : عبد الحميد جودة السحار

الأستاذ ســـيد قطب

كان هذا الكتاب — وهو حلقة من سلسلة لجنة النشر للجامعيين — مفاجأة كاملة لى . فأنا أعرف مؤلفه الشاب ، فأعرف أنه أديب مجتهـد ؛ وقد قرأت له ما سمح وقتى المحدود بقراءته من كتبه الكثيرة التى يتجه بها غالباً إلى التاريخ الإسلامى ليعيد عرض وقائعه الجافة فى صورة قصصية يحافظ فيها على دقة التاريخ مع سهولة العرض وتشويقه ، وهو عمل نافع مشكور .

وقرأت له قصته الأولى عن : أحمس بطل الاستقلال ، وهى لا تبشر بشىء ! ثم قرأت — على وجه الخصوص — كتابه « فى الوظيفة » وأعجبنى فيه قدرته على التصوير السريع باللمسات الخاطفة ، وقلت عنه فى عدد «الرسالة» بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٥ :

« إن صاحب هذه الصور الانتقادية موهوب فى فن التصوير السريع . ومهما أخذت عليه من عيوب فى عمله الفنى ، فإنك لن تخطئ اللامح التى يريدها ، والسحنة التى يبغيها ، وهذا وحده يكفى .

« إنه ذو عين لماحة ، تسجل الحركة الحسية ، كما تسجل الحركة النفسية . ثم تغلف اللمحة المرسومة بروح السخرية ، وتمزجها بعنصر الفكاهة ، حتى ليخيل إليك أنه ينظر إلى الدنيا كما ينظر إلى ملهاة كبيرة ؛ تأخذ عينه فيها لمحات التناقض ، وتأخذ حسه فيها مواضع السخرية ، وتأخذ نفسه فيها مواطن الدعابة ... »

ولكن هذا كله شىء ، و« همزات الشياطين » شىء آخر ، ومع أنها موسومة بهذه السمة التى عبرت عنها فى تلك الفقرات ، إلا أن الشقة بينها وبين جميع أعمال المؤلف الشاب بعيدة ، فهى وثبة واسعة المدى ، لا بالقياس إلى جميع أعماله ، بل بالقياس إلى أقصى ما كان يتوقعه الناقد لهذه الأعمال !

وقبل أن أبعد فى طريق التعميم أخصص ما ذا أعنى بأنه وثبة واسعة المدى : تحتوى هذه المجموعة على اثنتى عشرة أقصوصة ، وقد صدرها المؤلف ببحث مختصر مفيد عن الرواية والأقصوصة يؤلف مع الفصل الذى احتوى عليه كتاب « فنون الأدب » عن القصة والمسرحية تأليف (هـ . ب تشارلتن) وتعريب الأستاذ زكى نجيب محمود . والفصل الذى كتبه الأستاذ محمود تيمور عن « فن القصص » ... كل ما تحويه المكتبة العربية تقريباً عن هذا الباب الضخم من أبواب الأدب : باب القصة !

من هذه المجموعة أقصوصة طويلة بعنوان «وسوسة الشيطان» تستغرق أكثر من ثلاثين صفحة ، وهى الأقصوصة الرئيسية فى المجموعة ... وهذه هى الأقصوصة الفذة البارعة فى المجموعة ، وفى أعمال المؤلف كلها منذ أن أخذ يكتب وينشر . أما بقية المجموعة فشىء عادى فيه الخطأ وفيه الصواب ، وبعضها تبدو فيه العجلة التى لا تغتفر لمن يملك أن يخرج مثل هذه الأقصوصة الرئيسية !

وهذه الأقصوصة هى التى فاجأتنى مفاجأة تامة ، جعلتنى أعاود النظر فى كل ما قرأته للمؤلف ، لعلنى أكون قد أخطأت فى تقديرى أول الأمر ، أو لعل بعض كتبه التى لم أكن قرأتها توحى بهذه الوثبة الواسعة !

ثم عدت بعد هذا كله مقتنعاً بأنها وثبة واسعة ، ومفاجأة كاملة ! وقادتنى هذه المفاجأة إلى أن أراجع كل ما تحويه مكتبتى من الأقاصيص المؤلفة باللغة العربية — وهى تكاد تشمل كل ما تحويه المكتبة العربية فى هذا الباب — فوجدت هذه الأقصوصة تقف وحدها متفردة بين هذا الحشد من الأقاصيص .

وأردت أن أتابع الموازنة ، فعدت إلى ما تحويه مكتبتى من الأقاصيص المترجمة — وهى تكاد تشمل كذلك كل ما نقل إلى اللغة العربية — فوجدت هذه الأقصوصة تقف رافعة الرأس مع أعظم ما أعجبت به فى هذه المجموعة ... ترتفع على معظمه ، وتساوى أقله ، وتنحنى أمام عدد صغير جداً لا يبلغ عشر أقاصيص من حوالى المائتين !

تصور هذه الأقصوصة تجربة نفسية كاملة للخطيئة . وهى تمثل — مع استقلالها وأصالتها — صراع كل « بافنوس » أمام

« تايس » وكل « عبد الرحمن القس » أمام « سلاَّمة » ، بل صراع كل « آدم » أمام فتنة الفاكهة المحرمة . وهي تصور هذا الصراع باللمسة الهينة ، والإيماءة القصيرة ، واللفظة الموحية ، والحركة المعبرة ، وتلم في الطريق بكل خلجة وكل خاطرة وكل تأثر وكل انفعال ، وتجمع بين السرعة التحركة في السياق ، والدقة الكاملة في رسم الخلجات الخفية ، والوسوسات الخافتة ، وتصور « فلماً » كاملا للصراع النفسي في موقف خاص !

وذلك كله دون حذلقة ، ودون إبراز للتحليل النفسي الذي يأخذ هيئة التفسير العلمي فيفسد الفن القصصي ، إلا في موضعين عابرين ألم بهما إلماماً سريعاً لحسن الحظ ، فلم يفسدا السياق ، وإن غضا من قيمته الفنية قليلا .

والصعوبة التي تواجه ناقد القصة أنه لا يملك عرض الجمال الفني فيها كما يريد ، فالتلخيص عبث وقتل لهذا الجمال ، فهو — على أحسن الأوضاع — يلخص الفكرة ، وما ذا تجدي الفكرة إذا لم يستطع تصوير طريقة العلاج ؟ وكل وصف لطريقة العلاج يعد تشويهاً بالقياس إلى حقيقة العمل الفني في السياق !

ولكنني بعد هذا كله ملزم أن أعرض على القارئ هذا التشويه:

صلاح شاب في الثلاثين ، متدين ، واثق بنفسه وبإيمانه ، فقد وصل إلى هذه السن ولم يرتكب معصية قط — على الأقل حسبما يعتقد — فهو صاحب حق في الجنة لا منازعة فيه ، ولأنه لم يعان من قبل أية تجربة نفسية ، فهو يقسو على الخطيئة والخطاة ، ولا تنفسح نفسه لأي عطف عليها أو عليهم ، ولا يحاول أن يستمع لأية معذرة من الظروف واللابسات والاضطرار .

وحين يسمع من الواعظ تحذيره من النفاق وتخويفه للناس من عذاب النار ، لا يحفل ولا يجفل ، فإنه ناج من النار ! وحين يقص على زوجته نبأ طرد عبد التواب أفندي من عمله لأنه اختلس يعلق على هذه الجريمة بقسوة ، ولا يقبل من زوجه التماس أية معذرة لهذا السارق الأثيم ! وحينما تتقاعس زوجه عن صلاة الفجر لأن حلاوة النوم تقعد بها في السرير ، يلح عليها حتى تقوم ، لأنه « يود أن يزحزحها عن النار ... » وحينما يعلم أن فتاة يتركها أهلها لتشتغل بالتدريس بعيدة عنهم، يهم بأن يذهب إليهم ليوبخهم على هذا الاستهتار ! ويخرج صلاح لعمله بعد الصلاة وقراءة « الحزب » وهو يحلم بالجنة التي دخلها فلم يجد «سميرة» زوجه ثم إذا هي تدخلها إكراماً لخاطره! ... يخرج حيث يعد له المؤلف أو تعد له الحياة ، الفتنة الأولى مع هذه المدرسة ذاتها :

« أغلق صلاح باب مسكنه خلفه ، وقبل أن يهم بالنزول في الدرج ، فتح باب المسكن المواجه له ، وخرجت منه فتاة واسعة العينين ، ناهدة الصدر، نحيلة الخصر، وما إن تلاقت عيناه بعينيها حتى غض من بصره ، وتأخر خطوات ليفسح لها الطريق ؛ فمرت من أمامه ، وملأت خياشيمه رائحة عبقة أنعشت نفسه ، ولكنه ظل مطأطئ البصر ، وهبطت الدرج قافزة ، ولم يقدر صلاح على أن يقمع شهوة التطلع طويلا ، فنظر من بين أهدابه المسبلة فوقع بصره على ثديين يترجرجان صاعدين هابطين ، فأغمض عينيه ، وتعوذ من الشيطان الرجيم ، وخفت وقع أقدامها وتلاشى ، فوجد نفسه يهبط مسرعاً — وما كان لينزل إلا متمهلا وقوراً متخذاً سمة الكهول الموقرين — وسأل نفسه عما دفعه إلى الهبوط السريع، فرد ذلك إلى جو الربيع الذي أنعشه ، ودب فيه نشاط حبيب إلى النفس ، وبلغ الطريق فلمحها تنفذ في السير، وتصعد إلى الطوار خفيفة رشيقة ، وما تقطع في الطريق خطوات، حتى تعود لتقفز إلى الطوار ثانية كأنها خيال يطير ، لا يبغي المكوث على الأرض ولا يطيق اللصوق بها . ووجد نفسه ينفذ في السير ، ولكن علاه الإسراع ، وما هناك حاجة إلى الإسراع، فما زال في الوقت متسع ، وأحس همساً خفيفاً ينبعث من داخله يستفسر: ترى أتنفذ في السير لتلحق بها وتتطلع إليها ؟ وما همس هذا الهاجس في نفسه حتى تفزع وجفل، وضيق من خطوه، وتعوذ وابتدأ في قراءة المعوذتين!

ثم تتابع الحياة دورتها ، ويتابع المؤلف خطوات صلاح ، وصراعه مع نفسه، ومغالطته لها ، وهواجسه وخطراته ، وتناقض أحاسيسه ، وإقدامه وإحجامه ، واقترابه في كل إقدام وكل إحجام من الهزيمة والاستسلام ؛ في أسلوب بارع فائق لا نستطيع مجاراته فيه ولا نملك تلخيصه ، حتى نلتقي بالبطل في موقف الهزيمة الأول : «وانطلقا في الطريق الهادئ الساكن الممتد على النيل ، وسارا صامتين كأنما استمرارا صمتهما من صمت المكان ، واقتربت « بديعة » منه حتى التصق كتفها بكتفه ، واصطدمت يدها بيده أكثر من مرة ، واستقرت يدها في يده أخيراً ، فراح يضغطها

ضغطاً خفيفاً ، فكان يحس بنشوة لذيذة تسرى فيه ، ما كان يحسها لو أن اليد التى كانت فى يده «سميرة» ، واستمر السكون مخيما عليهما ، وكان سكوناً خارجياً ، ولم تكن نفساهما ساكنتين ، بل كانتا تعتلجان بشعور فوار ، فقد كان كل منهما يتمنى أن يضم صاحبه إلى صدره ليطفئ ناره !

« وبلغا مقعداً خشبياً ، فجلسا يحدقان فى النيل برهة ، ثم زحفت « بديعة » على المقعد بخفة حتى التصقت به ، فملأ عبيرها الشذى أنفه ، وحرك نفسه ، فتاق إلى أن يضمها إليه ، ويطوقها بذراعيه ، ويعطر وجهها قبلات ، ولكنه قمع شهوته ، وقاوم رغبته ، ورمى بنظره إلى النيل ، وجعل يرقب موجاته المتكسرة محاولا أن يتشاغل عن هواتف نفسه ، ولكن رغبته خنقته وسيطرت عليه ، فارتد بصره إليها ، وراح يتطلع إليها فى وله واشتهاء . . والتقت العيون ، فترجمت عما تخفى الصدور ، فقالت « بديعة » وأسندت ظهرها إلى صدره ، فخفق قلبه ، وارتفع نبضه ، وسرى الدم حاراً فى بدنه ، حتى أحس به يكاد يشوى وجهه ، وانبهرت أنفاسه قليلا ، وضاقت حدقتا عينيه قليلا ، واضطرب كثيراً ، وأحس شعرها الأسود السبط الجميل الذى تمنى يوم جلست أمامه فى السينما أن يمر بيده عليه ، يلمس خده ، فسرت رعدته فى جسمه ، وارتفعت يده دون أن يتكلف ذلك ، وراحت تمر على شعرها فى حنان ، فرفعت عينيها المتكسرتين إليه وهى مستلقية على صدره ، واستدارت قليلا كأنما استدارت للقبل ... ورنت إليه فى دلال ، وزمت شفتيها تدعوه فى خبث إلى اللثم والعناق ... فلم يستطع أن يقاوم تلك الفتنة المرتمية فى أحضانه ، ولا نداء العينين الواسعتين الساحرتين ، ولا الشفتين المزمومتين المرتجفتين قليلا ، المغريتين كثيراً ! »

وهكذا يمضى المؤلف بصلاح المسكين فى سياق مصور دقيق على هذا الطراز حتى يصل به إلى الدار : « وتذكر فى الطريق دعاء ما كان يجرى له ببال قبل اليوم ، ولم يتحرك به لسانه أبداً ، فأخذ يردده فى نفسه فى حرارة يحس نارها تصهر صدره ، ولأول مرة يحس جلال ذلك الدعاء ، واستمر يردده وهو يصعد الدرج : « اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ... اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى » !

« ودق الباب ففتحته زوجه ، فدخل وأغلقه خلفه ، ثم طوقها بذراعيه ، وراح يقبلها فى لهفة وهو يتمتم : « سميرة .. سميرة ؟ » كأنما كان فى سفر طويل عاد منه ، وخطر دامٍ يهدد حياته ، وأحس كأنه يود أن يفضى لها بكل شىء ، وأن يقص عليها قصة ضعفه ، ولكنه تريث ، وتخلصت منه فى رفق ، وسألته فى ارتياب : ما بك الليلة ؟ فقال : لا أدرى ، إنى إليك مشتاق كأنى لم أرك منذ سنين ! فقالت : أأعد العشاء ؟ فقال : انتظرى حتى أصلى العشاء !

« ودخل حجرته ، وأخذ يخلع ملابسه ، ولم ترحمه نفسه المهتاجة ، بل راحت تخزه ، فسمع صوتاً يهتف به من أغوار نفسه : « يا لك من منافق ! كيف سمحت لنفسك أن تضع شفتيك الآثمتين على شفتيها الطاهرتين ؟ وكيف رضيت أن تلف ذراعيك اللوثتين بخصرها ؟ وأن تلصق صدرك الخبيث بصدرها ؟ يا لعارك ! »

ثم يعتزم التوبة والتكفير بألا يلقى بديعة مرة أخرى . ويصر على ذلك إصراراً ونفسه تهتف به إليها هتافا ، ويصمد فى الظاهر وهو يقرب من الخطيئة الكبرى ... ثم تقع هذه الخطيئة فى أشد لحظاته إصراراً على ألا يلمح « بديعة » أو يراها ! . ثم يصبح الصباح ! - « واستمر ضميره يخزه وخزاً شديداً ، وهو يتلوى من العذاب ، وضاق صدره فترقرق الدمع فى عينيه فلم يستطع حبسه ، فجرى على خديه ، واستمر فى عذاب حتى ارتفع صوت المؤذن يؤذن بالفجر . فأحس كأنه نار تصب فى أذنيه . فوضع إصبعه فى أذنه ليصمها عن سماع الأذان الذى يزيد من أشجانه ، ولكن صوت المؤذن كان يقرع سمعه فكأنه شواظ من نار سددت إلى قلبه فخرقته حرقا ، وارتفعت النار إلى صدره فأضنته ، وأحس «سميرة» تنهض من فراشها ، فأحس عرق الخجل ينصبب منه حتى بغمره ، واقتربت من سريره فود أن تبتلعه الأرض قبل أن تمسه ، ولكن يد « سميرة » لمست كتفه فى رفق ، وهمست فى حنان : — صلاح ... صلاح ... انهض قد أذن المؤذن ...

« فهم بأن يصيح فيها أن تبتعد عنه ، وألا تلمسه ، ولكن صوته انحبس ، ولم يجد مخرجا . فمادت تهزه وتهتف : — صلاح قم . الصلاة خير من النوم . واقتربت بوجهها من وجهه ، فلمحت

مقابلات بين أقوال جحا

وأقوال الشعراء والكتاب

للأستاذ كامل كيلاني

(بقية المنشور في العدد ٦٦٦)

٥ — صغار الأشياء

يقول شيخنا المعري :

العمل — وإن قل — يستكثر ، إذا اتصل ودام ، لو نطقت كل يوم لفظة سوء ، لاسودت صحيفتك في رأس العام .

ولو كسبت كل يوم حسنة ، عُدِدْتَ — بعد زمن — من الأبرار .

دموعه تجري على خده . فهمست في فزع : — صلاح . مابك ؟ أتبكي ؟ ... قم يا حبيبي . قال : دعيني . قلت ما بك يا حبيبي ؟ قال : رأيت رؤيا مفزعة . رأيت نفسي أطرد من الجنة » .

ولا تنتهي الأقصوصة حتى يكون هذا الواثق في نفسه وقوة إيمانه ، المستمر بمكانه في الجنة ، القاسي على الضعف والخطيئة ... معذبا مولها ، لا تهب عليه نسائم الرحمة إلا من الإقرار بالضعف والخطيئة والرجوع إلى التواب الغفار عن طريق الخطأ والاستغفار !

« ونهض صلاح ليغتسل من إثمه ، وانطلق حزيناً كئيباً يحتقر نفسه ، ويعجب لضعفه ، وسمع صوتاً آتياً من أغوار نفسه كأنه همس ينبعث من مكان سحيق ، ولكنه بلغ أذنيه واضحاً قوياً ، وانساب فيها عذباً ندياً :

« كل ابن آدم خطّاء . وخير الخطائين التوابون »

فتمتم والدموع تخضب وجهه : «اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك»

هذا عمل فني رائع لا تصوره تلك المقتطفات بل تشوهه !

وإن المؤلف الشاب ليستطيع أن يأتي بكل أعماله إلى البحر ، ثم يقف بهذا العمل الفني وحده . فإذا قدر له أن يخرج عشر أقاصيص فقط من هذا الطراز ، فليكن على ثقة أنه سيسلك في سجل العظماء من رجال الفنون ! ولكن هذا عمل عسير !!!

سيد قطب

إن اليوم ائتلف من الساعة ، والشهر اجتمع من الأيام ، والسنة من الشهور ، والعمر يستكمل بالسنين » .

الرجل مع الرجل عصبة ، والشعرة مع الشعرة ذؤابة (وهي الضفيرة المرسلة من الشعر) والحجر فوق الحجر جدار ، والنخلة إلى النخلة حائش (جماعة من النخل) .

ويقول بعض شعراء أوربة .

« قطرات المياه منها محيط وصغار الحصى تكوّن أرضا
ودقيقاتنا تؤلف جبلا بعد جيل في إثره يتقضى
وقليل الحنان والحب مما يجعل الأرض جنة الخلد خفضا »

فكيف يعبر صاحبنا عن هذه المعاني بأسلوبه الجحوي الفاتن:

٦ — برميل العسل

يقول :

« كان والينا الجديد — فيما سمعت وسمع غيري من الناس — مما ترامى إلينا من أخباره يحب العسل حباً شديداً ، ويؤثره على غيره من ألوان الحلوى ولذائذ الفاكهة جميعاً .

وقد احتشدنا لاستقباله وتأهبنا للاحتفاء بمقدمه بعد أن اجتمع رأينا على أن نهدي إليه برميلا كبيراً نملأه بأحب الطعام إليه وهو العسل .

وتعاهدنا على أن يسهم كل واحد منا في تلك الهدية بأيسر نصيب . فيأتي في ذلك البرميل الكبير بمقدار فنجان صغير .

وخطر ببالي — حينئذ — خاطر عجيب فقد سوّلت لي نفسي أن أهرب من أداء هذا الواجب اليسير الذي لا يكلفني شيئاً .

وقلت في نفسي ، والنفس أمارة بالسوء :

إن مئات غيري من الناس ، سيقومون بأداء هذا الواجب عني . ولن تقدم هديتي شيئاً وإن تؤخر . فلو ملأت الفنجان ماء أو عسلا لما نقصت الهدية شيئاً ولا زادت ، ولما شعر أحد بتقصيري .

ولكن شد ما دهشت حين فتح الوالي برميل العسل أمامنا . فوجده مملوءاً ماء كله . وليس فيه قطرة واحدة من العسل .

لعلكما أدركتما السر في ذلك — يا ولدي — فإن تلك الفكرة الخاطئة التي مرت على بالي ودفعتني إليها الأثرة والأنانية

إلى إنقاذها قد مرت على بال كل واحد من أصحابي المئين الذين اجتمعوا لتكريم الوالي .

وهكذا كانت هديتنا إليه رميل ماء لا رميل عسل . وقد تركت الهدية في نفس الوالي بعد ذلك أسوأ الأثر ، وكانت سيرته معنا كما كانت سيرتنا معه من أقبح السير .

وكان هذا أبلغ درس وعيته في شبابي ، وأدركت مغزاه ، فلم أنسه طول حياتي .

٧ — دولاب الزمن

يتمثل بعض الشعراء ، فيما يتمثلون من أخيلتهم البارعة ؟ أن الزمن بحر ، ونحن راكبوه على سفائن — من أعمارنا — لا تلبث أن تحطمها الأمواج المصطخبة الثائرة . وفي هذا يقول شيخ المعرة :

« ركبنا على الأعمار والدهر لجة فما صبرت للموج تلك السفائن »

ثم يتمثل شاعر آخر أن سفينة الحياة تخيل لرائيها أنها واقفة على حين يجري بها الزمان ، وفي هذا يقول (مهيار الديلمي) :

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة نُظَنُّ وقوفا والزمان بنا يجري »

ثم يتمنى شاعر ثالث لو استطاع أن يلقي بمراسي هذه السفينة في ذلكم البحر الزمني ، لتقف ولو يوما واحداً ، فيقول الشاعر المبدع « لامرتين » في قصيدته البحيرة وهو من المعاني التي افتن الشعراء فيها وأبدعوا في صوغها وتصويرها إبداعا :

« هكذا وأبدا ، نظل مدفوعين إلى سواحل جديدة من الحياة في ليل الأبدية المظلم ، لا رجع ولا عود . فهل يتاح لنا أن نلقي مراسي سفينتنا فوق أوقيانوس الزمن ؟ وهل يقر قرارنا يوما واحدا ؟ »

وقد أبدع البحتري — قبل لامرتين — في هذا المعنى أي إبداع حين قال :

« ليت أن الأيام قام عليها من إذا ما مضى زمان يعيده »

ومن قبلهما التفت « امرؤ القيس » إلى طول الليل التفاتة فريدة ، فتمثله خياله المبدع الوثاب ، كأنه واقف لا يتحرك ، بعد أن شدت نجومه — إلى جبل يذبل — بأوثق الأسباب ، وأمتن الحبال لتمنع الليل عن الحركة ونموه عن الانتقال . فقال في معلقته الخالدة :

« فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل »

ثم جاء المعري فمثل لنا العاشق الولهان يود لو استطاع أن يديم ظلام الليل فلا ينتهي ، ويتمنى لو يزيدُ في سواده سوادَ قلبه وسواد عينه ليطيله قليلا . فقال :

« يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر »

وقال صَرَّدر :

« يا ليت عمر الفتى يُمَدُّ له ما امتدّ منه الرجاء والأمل »

وقال :

« فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فني الشهر »

ثم جاء « ابن الفارض » فقال :

« يا ليل طل ، يا نوم زُل يا صبح قف : لا تطلع »

ولو شئنا أن نتقصى ما قاله الشعراء في هذا الباب لامتد بنا نفس القول دون أن نبلغ من ذلكم مداه . ولكن حسبنا أن نشير إلى قول الشريف الرضي :

« يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها المشاء بالسحر »

وقوله :

« ردوا عليّ ليالي التي سلفت لم أنسهن ولا بالعيش من قدم »

وقول مالك بن الريب :

« فليت القضا لم يقطع الركب عرضه
وليت القضا ماشى الركاب لياليا »

وقول الشريف أيضاً :

« ولو قال لي الغادون ما أنت مشته
غداة جزعنا الرمل : قلت أعود »

يحسبنا هذا القدر على وجازته . وقديماً قالوا :

« حسبك من القلادة ما أحاط العنق » .

فلننتقل إلى الدعابة الجحوية لنرى كيف تعبر في سذاجة نادرة عن هذه الأعماق والدقائق المعنوية ، التي صاغها المبدعون في دورة الفلك ودولاب الزمن :

يُسأل جحا وهو صغير :

« أيكما أكبر : أنت أم أخوك ؟ » .

فيقول :

« أخي يكبرني بعام واحد ، فإذا جاء العام القابل تساوينا في العمر » .

ويُسأل وهو كبير :

« كم سنك يا جحا ؟ » .

فيقول : « أربعون عاما ! » .

فيقول له بعض سامعيه :

« ألم تقل لنا ذلك منذ سبعة أعوام ؟ » .

فيجيب جحا في غير تلعثم ولا ارتباك :

« وهل يغير الحرُّ كلامه ؟ » .

* * *

فأنت ترى في القصة الأولى : تدفعه الرغبة المفكرة ، أو التفكير الراغب (Wishful thinkngi) إلى أن يتمثل : أن دولاب الزمن قد وقف بأخيه عاما ليدركه جحا .

فإذا كبر : دفعته الرغبة أن يتمثل قدرته على وقف دورة الفلك عند سن الأربعين لأنه لا يريد أن يتخطى هذه السن أبدا . وحسبه أن يعيش على هذه الأمنية ما دام في تخيلها سعادته .

ورحم الله الشاعر الذي يقول :

« مُنى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا »

٨ — المرأة والسن

ومن بديع لفتاته حين رأى صديقاً له مكتئباً حزيناً ، فسأله عما يحزنه ، فقال :

« لقد نشب بين زوجي وأختها عراك عنيف لا أدري كيف ينتهي ، وقد جئت لأستعين بك على فض ذلك النزاع بحكمتك وكياستك » .

فسأله جحا : « أتراهما تشاجرتا لاختلافهما على عمريهما ؟ »

فقال له : « كلا يا صاحبي لم يدر لهما هذا المعنى على بال » .

فقال جحا : « عد إلى بيتك مطمئناً فلن يطول شجارهما يا صاحبي » .

٩ — الإسراف والاعتدال

يقول الشاعر :

« يتمنى المرء في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكرهُ
ليس يَرضَى المرء حالا واحدا قتل الإنسان ما أكفرهُ »

ويستمع صاحبنا جحا إلى رجل يشكو زمهرير الشتاء ويلعن برده القارس ، ويتبرى للشاكي أحد المتحذلقين فيمنفه على شكواه ، ويقول له : « لقد كنت تشكو في الصيف الماضي وقدة الحر ، وعنف القيظ ، فمالك تبرم بالشتاء إذا جاء ؟

فيعجز الشاكي وأصحابه عن الإجابة ، ويلتفت جحا التفاتة رائعة . فيقول :

« لقد طالما شكا الناس زمهرير الشتاء ، وقيظ الصيف ، فهل رأيت أحداً يشكو : اعتدال الربيع ؟ » .

وكأنما أوحى بهذه الإجابة البارعة إلى ابن الوردي قوله في ذم الإسراف والغلو :

بين تبـــذير وبخل رتبة وكلا هذين ، إن زاد قتل

١٠ — مناجاة النفس

ويقولون : إنهم سمعوا جحا يتحدث في غرفته وليس معه أحد ، وكأنما يحدث شخصاً آخر ؛ فلما فتحوا باب الغرفة ليتعرفوا جلية الأمر وجدوه يحدث نفسه . فسألوه : « كيف تحدث نفسك يا جحا ؟ » .

فقال : « لقد برمت بغباء الناس وضيق عقولهم ، وعجزهم عن فهم الدقائق التي تقصر أفهامهم عن بلوغها . واشتقت إلى محادثة بارع فطن ذكي يفهمني وأفهمه ، فلم أجد غير نفسي ، فرحت أناجيها وأفضي إليها بدخيلتي » .

ألا تذكرنا هذه القصة بقول الشاعر الأندلسي المبدع « ابن حديس » .

« سواي من يعتد من أنسه ما نال من حظ ومن كأسه
وحق مثلي أن يرى خاليا بنفسه يبحث عن نفسه »

* * *

وقد نسبت هذه القصة إلى الساحر المبدع « برنارد شو » ، كما نسبت إلى جحا من قبله . ولعلها من مختلقات الرواة ؛ فإذا صحت نسبتها إليه أيضاً فهي من توارد الخواطر ، وما أكثر ما تلتقي العقول الكبيرة كما التقت عقول جحا وبرنارد شو وابن خفاجة الأندلسي .

كامل كيلاني

الأدب فى سير أعلامه :

ملتن...

[الفنارة الخالدة التى غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٩ —

أشعاره فى هورتون :

وكانت قصيدة ملتن الثالثة فى هورتون هى الغنائية المسرحية أركادس ، وهى فى الواقع نبذة من غنائية مسرحية فهى لا تعدو مائتى سطر ، ويمكن أن نعدها قصيدة مدح لولا هذه الصورة المسرحية التى وضعها فيها الشاعر .

نظم ملتن هذه الغنائية الصغيرة سنة ١٦٣٤ تكريما لسيدة عظيمة علت بها السن هى كونتس سلسبرى ؛ وقد مثلها بين يديها أحفادها وهم أبناء إيرل بردجووتر وابنته ؛ ووضع الملحن هنرى لنسن أشهر ملحنى العصر جميعا هو لو وكان صديقا حميما لملتن ، ما ذهب ملتن إلى لندن مرة إلا قضى عنده ساعات يستمتع بموسيقاه ، وكان ملتن يقدره حق قدره ويعجب بألحانه إعجابه هو بشعر صديقه الشاعر . وتبدأ المسرحية بأغنية صغيرة مدح للكونتس يتقدم بها منشدين بين يديها أحفادها من بنين وبنات فى ملابس ريفية ، ويبلغ ملتن فى هذه الأغنية أعلى درجات الإجادة والأمتاع؛ فثمة ألفاظ حلوة ولحن بديع ومعان جليلة تكافىء مقام السيدة التى يمتدحها . وبينما يتقدم المنشدون والمنشدات بين يدى السيدة يظهر جنى الغابة فيتجه نحوهم ويوجه إليهم الحديث ممتدحا السيدة فى شعر من النسق العالى بالغ الروعة والسحر ؛ ويختتم الجنى حديثه بأغنيتين إحداهما موجهة إليهم ، والأخرى موجهة للقرويين والرعاة جميعا ، وفيها يثنى الجنى على السيدة ويتغنى بمجدها وأنعمها .

* * *

وفى سنة ١٦٣٤ نظم ملتن قصيدته الرابعة فى هورتون فقد طلب لو إلى صديقه الشاعر نظم غنائية مسرحية أخرى لتكريم إيرل بردجووتر بمناسبة ولايته المنصب الرفيع الذى كان قد رقى إليه منذ ثلاث سنوات وهو منصب الرئيس اللورد لمجلس مقاطعة ويلز وذهابه ليقيم فى قلعة لادلو . ولقد أقيمت الحفلات للورد فى جهات كثيرة وبالغ عشيرته وأصدقاؤه فى تكريمه ، ومن هؤلاء لو الملحن النابغة ، وكان لو أستاذ الموسيقى لابنى اللورد وابنته ، ولم يقتصر على تلحين الأغانى فى هذه الغنائية المسرحية ، بل اشترك كذلك فى تمثيلها ...

وكانت أليس ابنة اللورد وهى فتاة ناهد فى نحو الخامسة عشرة من عمرها ، وأخواها وهما دونها فى العمر أهم الشخصيات فى تمثيل هذه الغنائية .

تخيل الشاعر سيدة تاهت فى مسالك الغابة وأحراجها وهى فى طريقها وأخويها إلى قلعة أبيها ، وظلت تبحث عبثا عن أخويها وظلا يبحثان عنها فى غير جدوى ، وتمثل لها كومس الجنى الشهوانى الساحر فى زى أحد القرويين ، وتظاهر أنه يهديها السبيل ، ثم إذا هو غوى مبين أخذ يحتال عليها ويراودها عن نفسها فاستعصمت ، ولكنه دأب فى غوايته حتى حضر أخواها فتغلبا على كومس وقبيله إلا أنهما ألفيا أختهما لا تستطيع التحرك بما صنع بها سحر كومس فأخذتهما الحيرة ، ولم يخرجها من ورطتها إلا سابرينا إحدى العذارى الخرافية التى أبطلت سحر كومس وهى من خلق ملتن ؛ وتنطلق الفتاة وأخواها بعد ذلك

إلى القلعة ، وكان يحمى الفتاة ويعصمها من الزلل من البداية حتى النهاية من عالم الأرواح روح ساهر عليها يتنكر فى زى أحد الرعاة ، وكان لهذا الروح فضل عظيم فى القضاء على كومسى ، وبعد انتصاره انطلق إلى عالمه الذى هبط منه .

هذا هو موضوع الغنائية ، ولقد تأثر ملتن فى بناء هذا الموضوع على هذه الصورة بما قر فى خاطره من قراءاته المتنوعة الواسعة ، فالشبه عظيم بين غنائيته فى بنائها وبين « قصة الزوجات العجائز » لبيل ، وملخص هذه القصة أن سيدة حملت من تسالى إلى بريتن بسحر ساحر لعين يسمى ساكربنت تعلم من أمه ميرو وهى ساحرة شهيرة كيف يغير صور الناس ، وتبقى السيدة فى برتين مسحورة عن نفسها تنسى ذاتها كما تنسى أصدقاءها ، ويبحث عنها إخوتها فيرد عليهم صدى يقبعونه حتى يقعوا فى يد ساكر بنت فيسحرهم ويسخرهم فى أداء أعمال حقيرة . وينجى السيدة حبيبها بعد ذلك وقد اطلع على سر ساكربنت على يد عفريت رجل فقير كان قد صاحبه . ويموت الساحر ولكن تبقى السيدة مسحورة ولن يفك السحر عنها حتى يُحطم وعاء زجاجى له بيد أنثى لا هى عذراء ولا زوجة ولا أرملة ، وينطفىء بتحطيمه ضوء كان يلقيه ، وبعد لأى توجد الأنثى المطلوبة فيحطم الوعاء وينطفىء الضوء ، وتنطلق السيدة المسحورة وغيرها من فرائس الساحر ...

وثمة شبه كذلك بين غنائية ملتن ومسرحية جون فلتشر « الراعية الوفية » وهى مسرحية ريفية كتبها صاحبها سنة ١٦١٠ وأعاد نشرها سنة ١٦٣٤ وهى السنة التى كتب فيها ملتن غنائيته. ومن هذه المسرحية أخذ ملتن فكرة انتصار العفة فى النهاية كما أخذ فكرة الروح الحارس الذى يحمى العذراء . فى المسرحية سيدة كانت عفتها فى خطر لولا هذا الروح الحامى . وفى مسرحية فلتشر يبرز إله النهر فينجى العذراء كما تنجى سابرينا عذراء غنائية ملتن . ويستعمل فى كومسى نبات لشفاء الجروح كما يستعمل نبات غيره فى الراعية الوفية ، وفوق ذلك تنطوى غنائية ملتن على فقرات لها أشباه فى المعنى والفكرة فى مسرحية فلتشر .

أما شخصية كومسى الذى سميت باسمه الغنائية ، فهى من ابتكار ملتن فقد جعل لكومسى أبوين من الميثولوجيا ، فأما أبوه فهو باخوس إله الخمر ، وأما أمه فهى سيرس الساحرة التى كانت تحيل من يشرب سائلا لها إلى حيوان ، وعلى ذلك فقد جمع كومسى بين المرح والعربدة ورثهما عن أبيه ، وبين السحر ورثه عن أمه ، وامتاز كومسى عن أمه بأنه لا يحيل أشكال الناس إلى حيوانات فحسب ، ولكنه يغير عقولهم حسبما يشاء فيوحى إليهم ما فى نفسه من شهوة وفسوق .

وتعج غنائية ملتن بتلميحات مأخوذة كلها من ميثولوجيا الأغريق والرومان ، كما أن فيها ألفاظا وعبارات وصفات تشبه نظائرها فى شعر من سبقه من شعراء قومه ، وعلى الأخص سبنسر وشكسبير .

أما فلسفة ملتن فى الغنائية ، فمشتقة من فلسفة أفلاطون وآرائه فى الفضيلة . وقد تعمق ملتن دراسة هذه الفلسفة وأحبها حباً شديداً ، إذ صادفت هوى فى نفسه ، وقد كانت نفسه حريصة على العفة كوسيلة إلى السمو الروحى والبيانى .

ولكن على الرغم من هذا كله نجد الغنائية فى جملتها وعليها طابع ملتن ، فهى ملتنية الروح واللفظ والأسلوب والموسيقى والفلسفة ، وفيها سمات عبقريته وشواهد قوته ، بحيث لا يمكن ردها إلا إليه كما ترد آثار فحول الشعراء إليهم بمجرد سماعها ، ولو لم يذكر أول الأمر أنها لهم ، ففى أماراتها وخصائصها وروحها ما يشير إليهم إشارة تغنى عن ذكر الإسم ، وتلك ميزة يختص بها هؤلاء الفحول ، فالشاعر منهم أصدق أصالة وأبرز فناً من أن يضيع فى غيره ، وتلك الميزة هى مقياس خلوده ، إذ لولاها لكان كغيره من سائر الناس ، ومن هؤلاء الفحول الأفذاذ « ملتن » صاحب هذه الغنائية يومئذ وصاحب الآية الكبرى يوم على الفردوس المفقود ...

مثلت أليس ابنة اللورد السيدة التى ضلت فى الغابة ، ومثل أخواها دور الأخوين ، أما اللحن (لو) فقد أخذ دور الروح الحارس ، ومثل أحد الشبان دور كومسى ، كما مثلت إحدى الفتيات دور سابرينا ، وهؤلاء هم أشخاص الغنائية جميعاً ، فهى كما ترى نوع من المسرحيات القليلة الحوادث والأشخاص تعنى بالموسيقى والشعر وتقوم فيها الأرواح والأشباح إلى جانب الناس .

تبدأ الغنائية بمنظر يمثل غابة وحشية ، ثم يظهر على المسرح

أو يهبط عليه الروح الحارس ، فيتكلم فى شعر رقيق بليغ عن موطنه ورهطه فى عالم السماوات ، ويشير إلى دنيا الناس وما فيها من آثام بقوله : «هذه البقعة المظلمة التى يسميها الناس الأرض» ويبنى على الناس حياتهم المضطربة وغفلتهم عما تهيئه لهم الفضيلة بعد ارتحالهم من عالم الفناء ، ولكنه يغتبط بأن بين الناس قلة يطمحون إلى وضع أيديهم على ذلك المفتاح الذهبى الذى يفتح لهم قصر الخلود ؛ ولهذه القلة مهبطه ومن أجلها رسالته ، ثم يشير إلى الاورد بأنه من أنصاف الآلهة الذين يحكمون فى الجزر مستمدين سلطانهم من نبتيون إله الماء ، ويمتدح خصاله ويتحدث عن ابنيه وبنته وعن مسيرهم فى الغابة ، وأنه أرسل من قبل چوف كبير الآلهة ليحميهم فى ظلمات الغابة ، ومم يحميهم ؟ هكذا يتساءل ليسترعى الأسماع ، ثم يقول : إنه سوف يقص ما لم يرد مثله فى شعر ولا فى قصص ، فى كوخ كان ذلك أو فى قصر . ثم يذكر فى إثر ذلك كومسى ومولده وما ورثه عن أبيه وعن أمه ، وما هو فى مقدوره من السحر ، فيصور للأذهان صورة عجيبة حقاً ، ويشوقها إلى ما عسى أن يقع على يد كومسى ، ولكن چوف يكف شره عمن يرعاهم من الناس ، ولذلك أرسل هذا الروح فى مثل لمحة النجم ليحمى هؤلاء المدلجين ، فليتنكر فى زى شخص يعرفونه ، وليكن هذا الشخص هو أستاذ الموسيقى ، وهنا يثنى الروح أعظم الثناء على فنه ووفائه ؛ ثم يرهف سمعه ويقول : إنه يسمع خطوات بغيضة تقترب ، فعليه أن يختفى ؛ وبهذه الوسيلة يعبر ملتن عما يريد أن يقول عن الاورد وعن صديقه الموسيقى على لسان ذلك الروح فى فيض من الشعر المرسل الرصين الرائع الذى يملك الأنفس عذوبة جرس وحلاوة معنى ، والخيال الساحر البارع الذى يذهل السامعين عن أنفسهم وعن عالمهم برهة ..

ويظهر كومسى فى المنظر الثانى وفى إحدى يديه عصاه السحرية وفى الأخرى زجاجته ، وفى إثره يمشى قبيله تمثل رؤوسهم أنماطاً من الوحوش ، ولكن أجسامهم آدمية ، ومنهم الذكور ومنهم الأناث ، ويلبسون جميعاً ملابس براقة ، ويقبلون فى زياط وجلبة يتواثبون ويتراقصون وفى أيديهم المشاعل ، وتسكن ضوضاؤهم بعد برهة ، ويتكلم كومسى وقد سكتوا ، فيصف مولد الليل ، ويجرى الشاعر على لسانه وصفاً رائعاً لمغرب الشمس فى شعر مقفى جميل اللحن ، فالنجم الذى يوحى إلى الرعاة موعد العودة بقطعانهم يتخذ سمته فى السماء ، وعجلة النهار الذهبية تبرد فى ماء الأطلنطى ، والشمس على الأفق الغربى تطلق آخر شعاع لها صوب القبة قد تنشاها الطَّفَل ، ثم تهبط متخذة طريقها إلى غرفتها الشرقية فى الجهة الأخرى ...

ويدعو كومسى قبيله بعد هذا الوصف إلى اللعب واللهو تحت أستار الظلام ، ويصف ما عسى أن يجرى فى الليل من صور المرح ، ويشير إلى الناس وكيف يغطون فى نومهم ومعهم مواعظهم ونظراتهم وحكمهم فهم من الطين ؛ ولكن كومسى وقبيله من النار فهم لذلك أكثر خفة وانطلاقا ، والليل كفيل أن ينطى لهوهم ولعبهم ، ومادام الصباح الذى يكشف نوره العيوب لا يزال بعيداً ، فهلم إلى اللهو والزياط والمجون ؛ ويدعو كومسى أتباعه أن يمسك كل منهم بيد صاحبه ثم ليضربوا الأرض بأقدامهم راقصين ... ويأخذ هؤلاء فى رقصهم لاهين عابثين ، ولكن كومسى لا يلبث أن يدعوهم إلى السكون ثم الاختفاء فانه يسمع أقداما قريبة وينبئه سحره أنها عذراء ضلت فى متاهات الغابة ، ويتحدث فرحا عما يعده لها من السحر ويصف كيف يحتال عليها وكيف يتنكر لها فى زى فلاح تأخر به سعيه من أجل عيشه عن العودة إلى كنه حتى هذه الساعة ، ثم يعلن إلى قبيله أنه سوف يسمع ماذا تقول العذراء .

وتتقدم السيدة فتظهر على المسرح ، وتحدث نفسها قائلة إنها سمعت لتوها جلبة وأصوات مرح وغناء ومزمارا كزامير الرعاة والفلاحين ، وتقول إنها توجس خيفة من عبث هؤلاء وتوقحهم ، ولكن ماذا عساها تصنع ، وإلى أى طريق فى متاهات الغابة تلوى وجهها عما تحذر ؛ وتذكر أخويها قائلة بأنهما تركاها لتستريح وقد بلغ بها الجهد وذهبا ليحضرا لها شيئاً يمسك صلبها من ثمار الغابة وما تظن أنهما قد ضلا ، وقد سرقهما الظلام منها . ثم تلتفت حولها وتقول إنها تظن أن هذا هو المكان الذى كان ينبعث منه الغناء والمرح ، ولكنها لا تجد إلا الظلام وحده ، وتهجس فى نفسها المخاوف فكأنها تسمع أصوات رجال ينادونها وترى أشباحا تهتف بها وتتخيل ألسنة هوائية تنطلق بأسماء رجال ، وهذه أشياء كفيلة بأن تلقى الخوف فى النفوس ولكنها لا تزعزع

فلسطينيات :

قصـــــة فتاة ... !

للأستاذ نجاتى صدقى

قيل لى إن فى الدار فتاة تحمل رسالة إلى ، وتود مقابلتى ... فتوجهت إليها ، فوجدت نفسى أمام فتاة فى العشرين من عمرها ، مكتنزة الجسم ، « مبتسمة » العينين ، وشعرها أسود كثيف ، ووجهها لايحمل المساحيق، فهو بطبيعته ناصع البياض ، وخدّاها وردّيان يملوهما القليل من البُشر ، المعروف بين الناس بـ (حَبّ الصّبا) ، وقد عصبت رأسها بمنديل حريرى ملوّن ، ولبست ثوبا قصيراً ، وكانت ساقاها عاريتين ، وتحتذى حذاء صيفياً .

دعوت الفتاة إلى غرفة ربة البيت ... وبعد أن تبادلنا التحية ناولتنى رسالة ففضضتها ، فكانت من صديق محام يقول فيها :

« أخى العزيز ...

... وحاملة هذه الرسالة هى الآنسة سلمى لَيّان من سرباط الجليل ، وهى فتاة تحب الغناء ، وأعتقد أن لها صوتاً جيداً فهل لك أن تساعدها فى إبراز مواهبها ... ؟

خذ بيدها ، ولك عند الله الأجر والثواب » (...)

ودار بينى وبين الفتاة الحوار التالى :

— ألك أهل فى هذا البلد ؟

— كلا ... وهذا أول عهدى بالمدينة ... !

— وكيف تأتين بمفردك إلى مدينة ليس لك فيها أهل تلجئين إليهم ؟ ...

— سأعود اليوم إلى بلدى بعد أن آخذ ردك .

— غير أن ما تطمحين إليه لا يأتيك على وجه السرعة ، يجب أن تنتظرى بعض الوقت .

سأنتظر إذا ما رأيت فى الأفق بارقة أمل ...

— وكيف تؤمنين معيشتك إلى أن تبلغى مأربك ؟ ...

— أقوم بأى عمل كان ... خادمة فى بيت ... أو ممرضة فى مستشفى .

— وأهلك ؟

وما يهمنى أهلى ! ... أريد أن أكون فنانة ... إن صوتاً يهمس فى أذنى دائماً : قومى أيتها الفتاة ، واطرقى أبواب الاستديوهات ، والاذاعات ، والفرق الموسيقية . إنك ستكونين مطربة كبيرة ، أو ممثلة بارعة ... مارسى الآن الفن فى هذا البلد الصغير ، ومتى بزغ نجمك فارحلى إلى مصر التى تقدر المواهب والعبقريات ...

— وهل تحملين رسالة إلى أحد غيرى فى هذه المدينة ؟

— أجل أحمل رسالة إلى حميد افندى صَبّاره مدير ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى ...

— عجباً ... إننى أدرى بهذه المدينة ومؤسساتها الفنية ، ولكنى لم أسمع قط بأن فيها ستوديو للتمثيل السينمائى ! ...

— كيف لا ... وقد تلقيت من هذا الاستوديو لائحة التوظيف وطُلب منى تعبئتها ، ثم دُعيت للحضور إلى المدينة ، كى نشرع بالمفاوضة ... وإليك صورة من تلك اللائحة إن كنت تود الاطلاع عليها ...

عقلا يستمسك بالفضيلة ويمشى أينما اتجه فى حمى حارس قوىّ هو الضمير ، وتلوذ السيدة بالأيمان ذى العين البريئة وبالأمل ذى اليد البيضاء ، وبالعفة الملك ذى الجناحين الذهبيين الذى لا يقهر ، وتعوذ بهؤلاء أن يدرأوا الأذى عن حياتها وعن شرفها .

ثم تغنى العذراء أنشودة جميلة توجهها إلى إكو[1] تسألها عن أخويها قائلة « إيه يا إكو الحلوة يا أجمل عذراء ، أنت يا من تعيشين خافية فى قوقعتك الهوائية . يا من يطيب لك أغنية البلبل الحزينة يرفعها إليك متوجداً فى لياليه على ضفة ميندر[2] الخضراء وفى واديه الموشى بالبنفسج ؛ أيتها العذراء ألا تدلينى على اثنين جميلين أشبه ما يكونان بفتاك نرجس ؟ أو إذا كنت أخفيتيهما فى كهف من كهوف الزهر فدلينى عليهما يامَلِكة الرَّجْع ويا ابنة قبة السماء ، ولئن فعلت لأدعون لك أن تبلغى السماوات فتكونى هناك الصدى الجميل الرشيق لكل ألحان الجنة » .

(يتبع) الخفيف

---

(١) إحدى عذارى الجبل فى الميثولوجيا الأغريقية أحبت شاباً جميلا اسمه نرجس أو قد ذابت توجداً عليه حتى لم تعد إلا صوتاً . ومن هذا الاسم كلمة Echo الانجليزية ومعناها الصدى .

(٢) نهر فى آسيا الصغرى شهر بالتواءاته الكثيرة .

وقرأت فيها :

« حضرة الآنسة سلمى ليان المحترمة .

تحية وسلاما ، وبعد ، تلقينا كتابك الذى تطلبين فيه الانضمام إلى ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى ... ويسرنا أن نحيطك علماً بأن الهيئة الإدارية للستوديو نظرت فى طلبك ، ورأت قبل مفاوضتك أن تتلقى منك أجوبة على الأسئلة التالية : هل تحبين الرياضة ؟ ... أتركبين الخيل ؟ ... أتسوقين السيارة ؟ ... أتسبحين ؟ وأى نوع من الرقص تحسنين : الشرقى أم الغربى ؟ ... وهل أنت اجتماعية فى حياتك العامة ؟ ... أتعزفين على آلة ما ؟ ... أتحبين الغناء ؟ ... وإن كنت تغنين فهل صوتك من درجة سوبرانو أم آلتو ؟ ... وإلى أى ناحية من الطالعة تميلين ... الرواية — القصة — الشعر ؟ ...

نرجو إعادة هذه اللائحة بعد الإجابة على ما جاء فيها من أسئلة ، مرفقة بثلاث صور لك فى أوضاع مختلفة ، الأولى نصفية تتطلعين فيها بكامل وجهك ... والثانية تمثل جانب وجهك ... والثالثة تبين هيكلك بأجمعه ... ونأمل أن تأتى هذه الصور بعيدة عن التكلف ، ومشبعة بالروح الرياضية .

وتفضلى بقبول الخ ... إدارة ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى

ثم تابعت الفتاة حديثها قائلة : وذهبت فى ذلك اليوم إلى ستوديو الزهرة فوجدته غرفة صغيرة تحتوى على طاولة ، وتلفون وملفات ، وأريكة كراسى ، ومتكأ ، وصور لجميع ممثلى هوليود ، وكان حميد افندى منهمكا فى دراسة بعض الأوراق يدخن ويشرب القهوة ... ولما عرفته بنفسى ، ورأى أمارات الدهشة بادية على محياى اضطرب وقال : المعذرة أيتها الآنسة ، إننا نشغل هذه الغرفة مؤقتاً الآن إلى أن يتم بناء الستوديوهات ... نرجو ألا يزعجك ذلك ... فالفنانة يا آنستى لا تعير مثل هذه التوافه اهتماماً ... الأيام أمامنا ، وكل شىء مع الصبر جميل ... أتعرفين كيف بدأ ستوديو مصر عمله ؟ ... لقد كانت حالة مؤسسيه مثل حالتنا تماماً ، استأجروا فى بادىء الأمر غرفة فى شارع كلوت بك ، ثم نهضوا شيئاً فشيئاً إلى أن بلغوا درجة الكمال. تصورى أن الممثل السينمائى استهل حياته فى ستوديو مصر بعشرة جنيهات فى الشهر ، وهو يتقاضى اليوم خمسة عشر ألف جنيه لاشتراكه فى فيلم من الأفلام ... التضحية يا آنستى هى مفتاح النجاح والسعادة ...

هيا ضعى يدك فى أيدينا ، وقولى توكلت على الله . نحن عشاق فن مثلك ، ومبتدئون ، تشجعى واعملى معنا ... لا تجعلى المال رائدك الآن . وثقى بأنه سيأتى عليك يوم ترفلين فيه بأثواب السعادة والهناء ، وستنشر صيتك فى كل أقطار العرب ، وسيصير لك معجبون ، وسترد لك الرسائل من كل حدب وصوب تحمل لك عبارات الثناء والإطراء ، والكل يطلب رسمك أو توقيعك ، وأنت لا تبخلين عليهم بذلك مطلقاً ... وإذا ما خرجت بسيارتك وقف الناس على جانبى الطريق يهتفون لك وأنت توزعين عليهم الابتسامات ذات اليمين وذات الشمال !

هيا يا فتاتى شمرى الردن عن ساعد الفن ! ... أما شروط الإتفاق فستكون مدار حديثنا هذا المساء على مائدة العشاء .

وتركت حمدى أفندى على أن أعود إليه ...

قلت لسلمى : أيتها الفتاة ، احذرى المدينة ، ولا تغرنك مظاهرها ، فهى أشبه بالمستنقع الذى تنمو على سطحه الحشائش الطرية الرقيقة ، وأزاهير النيلوفر والأقحوان ، فيظنها الإنسان مرتعاً من مراتع أمنا الطبيعة ، فينطرح عليها طالباً متعة النفس وراحة الجسم ، فاذا بالأزاهير تنوص ، وبالحشائش تزول ، ويظاهر مكانها حمأ أسود تنبعث منه رائحة المياه الآسنة ، وهيهات للانسان أن ينجو من براثنه ، فهو كلما حاول الافلات من الحمأ تشبث به وامتصه قليلا قليلا حتى يختفى تماماً .

قالت الفتاة : إننى لا أفقه شيئاً مما تقول ، جئت المدينة لأكون ممثلة أو مطربة وأنت تحدثنى عن المستنقعات ! ... أتشك فى حسن صوتى . أأغنى لك (أيها الراقدون) أم (أضحى التنائى) !

قلت : ما هذا الذى تقولينه أيتها الفتاة ؟ ... نحن لم نعتد أن نرى فتياتنا يتركن بيوتهن ليطرقن دور الفن ، فالطربة عندنا تكتشف صدفة أن صوتها جميل ... هلا أطلعتنى على حقيقة أمرك ؟ ... أفصحى القول ، واسردى علىّ قصتك ...

ارتبكت سلمى ، وامتقع وجهها ، وطأطأت رأسها قليلا ، وروت لى مأساتها ، ومفاد هذه المأساة أن قلبها مال إلى شاب من شباب الحى لكن أهلها منعوها من الاتصال به ، وهددوها

نظرات فلسفية :

« الذات » ... !

الأستاذ زكريا ابراهيم

أجل « الذات » ! صاحبة الجلالة « الذات » ! حولها تدور كل موضوعات الفلسفة ، ونحوها يتجه كل بحث إنسانى . هى المركز فى دائرة الوجود ، وهى المحور فى كرة الإنسان ! غفل عنها الفلاسفة حيناً ، ثم اهتدوا إليها ، فاهتدوا إلى نفوسهم ، ومنذ ذلك الحين أصبحت هى نقطة البدء ونقطة الانتهاء .

أىّ موضوع لم يتطرّقْ إليه شك المفكرين ، وأية حقيقة لم تَرْقَ إليها شُبهات الفلاسفة ؟ لقد امتدّوا بشكّهم إلى كل موضوع ، ونشروا شُبُهاتهم حول كل حقيقة ؛ أما « الذات » فقد بقيت دون متناول الشك ، وفوق كل شبهة ! أستغفر الله ، بل « ذاتى » هى وحدها التى لا سبيل لى إلى أن أشكّ فيها ، لأن بينى وبينك هوّة لا يمكن عبورها ! فكل منّا عالم مُغْلَق على ذاته ، وذاتك نفسها هى بالنسبة إلىّ « موضوع » كسائر الموضوعات الخارجية ! أما الوجود فلا علم لى به إلّا عن طريق شعورى الخاص ؛ وهذا الشعور هو الحقيقة الوحيدة المباشرة التى يمكن أن تدركها « الذات » . فالذات هى كل شىء بالنسبة إلى صاحبها ، وكل حقيقة لا بدّ أن تكون موسومة بطابعها .

إننا لا نتلقى الحقائق التى نؤمن بها من الخارج ، بل نصنعها فى الأعماق الباطنة من نفوسنا . وكل حقيقة لا تنبثق من ثنايا النفس ، لا بد أن تكون زائفة مموّهة . فالحقيقة من شأنها دائماً أن تكون « ذاتية » ؛ وحتى إذا لم تنبع الحقيقة من أبعد أغوار النفس ، فإنها لا بد أن تمرّ على « الرقيب » الذى يطبعها بالطابع الذاتى الخاص ! ولعلّ هذا هو المعنى الذى قصد إليه جيته حين قال : « إنّ ما ورثته عن آبائك وأجدادك ، لابدّ لك أن تحصّله بنفسك حتى يصبح مِلكاً لك » . فالإنسان لا يفهم تماماً إلا ما فكر فيه بنفسه ، وهو لا يؤمن إيماناً قوياً إلا بما هدا إليه عقله . أما ما قاله الآخرون ، أو ما رُوِىَ عن السابقين بالضرب والقتل إن هى حاولت التحدث إليه ، ودعوها مرة لتقدم القهوة إلى ضيوف أبيها ، وإذا بالضيوف أطباء جاءوا ليفحصوها ، ولما تبين لأهلها أنها عذراء زوجوها من ابن عمها الذى تكرهه ، وكان عاجزاً فى حياته الجنسية ، والتحق بالجيش بعد شهر من زواجه ، فأحبت الفتاة أن تنفصل عنه ، وقدّمت شكواها إلى المحكمة الكنسية ، فحولت هذه أوراق القضية إلى روما ، وانقضت ثلاث سنوات والفتاة تنتظر النتيجة ، فكانت مقيدة بزوج لا تشعر بكيانه ، وكان أهلها يدفعونها إلى الخدمة فى البيوت لتعول نفسها ، وكانوا يهينونها ، ويسمعونها لاذع الكلام ، فضاقت ذرعاً بهذه الحياة ، وعقدت النية على أن تفر إلى المدينة لتمتهن التمثيل عَلَّها تأخذ فيه دور المآسى ! ... ولتحترف الغناء عَلَّها تبث فيه ما فى نفسها من لوعة وألم ! ...

استمعتُ إلى مأساة سلمى ، ثم أقنعتها بضرورة العودة إلى ذويها ... وبعد مضى سنة علمت أنها فرّت ثانية من بيت أبيها ، وأحبت شابا مسلما وسألته أن يتزوجها .

فقال لها — لكننى أريدا أن تعتنق الدين الإسلامى ؟

قالت — أسلمت ! ...

قال — ولا أريدك أن تكونى سافرة .

قالت — سأتشح بالسواد من أجلك ...

قال — ولا أريدك أن تخرجى من البيت .

قالت — لن أخرج من البيت إلا إلى مثواى الأخير ! ...

وأعلنت إسلامها فى الجريدة الرسمية ، وانزوت فى بيتها الجديد ... فقد مثّلت دورها ... وغنّت أغنيتها ، ولا ينغص عليها حياتها إلا أهلها الأولون الذين يحاولون عبثاً الوصول إليها فجاءها شقيقها مرة كبائع زيت ... وجاءها عمها كبائع أقمشة متجول ... وجاءتها شقيقتها كبائعة زهور ... وآخر من جاءها أبوها فكان يقرع باب الدار قرعا عنيفاً ويصرخ قائلا : سلمى سلمى ... أبشرى يا ابنتى ... أبشرى ... لقد جاءك الطلاق من روما ! ...

نجاتى صدقى

فهذا ما لا يمكن أن يفهمه المرء جيداً ، إلا إذا دلّته عليه نفسه ، وأثبته له عقله . فكل حقيقة مهما كان من انتشارها وسيادتها ، لا بد أن تهبط إلى الأغوار السحيقة التي تُصنع فيها الحقائق ، حتى تتلقى من « الذات » اعترافا بصحتها ، وإقراراً بصدقها . ولهذا فان كل إيمان لا بد أن يكون « فردياً » حتى يكون إيماناً حقيقياً ...

ولكن ، هل جاءت قيمة « الذات » من أنها صانعة « الحقيقة » فحسب ؟ كلا ، بل هي أيضاً خالقة « الشخصية » . ففي أبعد أغوار الذات ، تكمن قوى الفرد التي تحدّد شخصيته وتعيّن سلوكه في الحياة . وهذه القوى الكامنة التي لا تظهر بوضوح في «الطبقة السطحية» من الذات ، بل تنتشر في المسارب الخفيّة منها ، مكوّنة وجودها الفرديّ الخاص بمعناه الحقيق .

وكثيراً ما تكون هذه القوى الكامنة التي تكوّن جوهر الذات مجهولة لدينا ، فتجيء أفعالنا مفاجئة للآخرين . وقد نزعم أن إمكانيّاتنا قد استُوعبت واستُهلكت ، فاذا بنا نجد أن من الممكن أن ينبثق من أعماق نفوسنا شيء جديد . ولهذا فإن من الخطأ البالغ أن نحكم على نفوسنا بأنها ليست أهلا لهذا العمل أو ذاك ، لأن التجربة كثيراً ما تظهرنا على أن في استطاعتنا أن نعمل ما كنا نعتقد أن ليس لنا عليه يدان !

وليست الحياة الفردية سوى تحقيق مستمر لكل القيم المتضمّنة على شكل قوى أو إمكانيّات في ثنايا الذات . وتحويل القوة إلى فعل هو جوهر الحياة الإنسانية ومعناها الأوحد . وهذا التوتر الذي يوجد بين ما حُقّق ، وما لا بد أن يُحقّق ، هو القوة المحرّكة الأولى في الحياة الإنسانية . فإذا حقق إنسان كل ما لديه من قوى مدخرة ، وإمكانيات كامنة في أعماق نفسه بحيث لم تعد لديه قوة جديدة يمكن أن يحققها ، فلا بدّ أن تصل حياته إلى نهايتها ؛ لأن ذاته أقفرت ، وإقفار الذات معناه الموت .

ولكن ما دام المرء حياً ، فلن يكون في وسع أحد أن يقول عنه ، ولن يكون في وسعه هو أن يقول عن نفسه ، إنّ شيئاً جديداً لا يمكن أن يُنتظر منه ! فطالما كانت الذات حيّة خصبة ، كان لابد لها أن تُزهر ! وقد تعرض للذات أحداث بسيطة ، فتكون مدعاة لظهور أمور جديدة ، أو إيقاظ أفكار كامنة ، أو تولّد معان لم تكن منتظرة !

أجل ! إنها الذات ؛ والذات عالم يعجّ بالأفكار والمعاني ؛ ومن أعماق هذا العالم الصاخب تنبثق الأفكار العظيمة ، والمعاني الجليلة ! فهل من حرج على الفلاسفة إذا لخصوا رسالتهم في عبارة موجزة ، فقالوا على لسان شيخهم سقراط : « أيها الإنسان : اعرف نفسك » ! ؟

إن « الذات » هي الحقيقة الأولى والأخيرة ، فليس بدْعاً أن تؤكد الذات نفسها بكل قوة على لسان شوبنهور قائلة : « إن العالم من تصوّري » وهل يقوم للعالم الخارجي وجود بدون الذات المفكرة ، التي تخلع عليه معنى من عندها ؟. إنها الذات وكفى !

(مصر الجديدة) زكريا إبراهيم

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

وزارة الأوقاف

تقبل العطاءات بقسم الحسابات والمخازن لغاية ظهر يوم ٦ / ٥ / ١٩٤٦ عن أعمال الإنشائيات البنائية والصيانة والترميمات الاعتيادية والصحية بالأطيان الزراعية التابعة لتفاتيش أوقاف القبه . القليوبية . الشرقية . المحلة . طنطا . المنتزه الجيزة . بنا . الفيوم . مغاغة . المنيا . أسيوط قنا وذلك خلال سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ المالية على أساس قائمتي الأثمان الاعتيادية والصحية المتداولتين لسنة ٤٦ و ٤٧ والموجودتين بقسم الري والميكانيكا بالتفاتيش المذكورة للاطلاع عليهما ويمكن الحصول على شروط العطاء بمائتي مليم من خزينة الوزارة وكل عطاء غير مصحوب بتأمين إبتدائي عشرة جنيهات لا يلتفت إليه والوزارة حرة في قبول أو رفض أي عطاء بدون إبداء الأسباب . ٤١٣

طنجة والنظام الدولي

ضرورة تقريرومدة مراكش واستقلالها في المؤتمر الدولي القادم

الأديب عبد المجيد بن جلون

تقع مدينة طنجة عند المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط وهي مدينة جميلة خضعت لمؤثرات غربية وحكم عليها موقعها الجغرافي بأن تنفرد عن أمها مراكش بالنظام الدولي .

ولسنا نريد أن نتحدث هنا عن النظم المطبقة فيها بقدر ما نريد أن نلفت النظر إلى ما لهذا النظام من أثر سيء في حياة المراكشيين الذين يقطنونها .

وأول ما يلاحظ هو أن المدينة أصبحت وكراً من أوكار الجاسوسية في العالم ، ففيها تلتقي أجناس مختلفة لا حصر لها ، تفد إليها من الشرق والغرب ، وبذلك تلتقي فيها الأخبار ويسهل إذاعتها والتقاطها ، ولكل من الشيوعية والفاشية والديمقراطية فيها عيون ساهرة أو أفواه ناطقة . وقد كان لوجود هذا المزيج البشري الغريب تأثير عميق على أحوال المدينة العامة ، فانتشرت المراقص والحانات وأمكنة القمار ونقل إليها هؤلاء الوافدون عليها — وهم من طبقات منحطة في الغالب — كل ما يوجد في العالم من موبقات .

ثم إن هؤلاء الوافدين عليها قد تجاهلوا أن هناك غيرهم في المدينة مع أن عدد المراكشيين ينيف على مئة ألف يشتط الأجانب في اغتصاب حقوقهم من الإدارة الدولية ، ولما كانت هذه الإدارة تتأثر بعوامل مغرضة ، ولما كان الفرنسيون والأسبانيون يخشون من أن يستفيد المراكشيون من الأنظمة الحرة التي يعمل الأجانب على استصدارها ، فقد استطاعوا أن يصلوا إلى غايتهم بالتفريق بين التشريعات الخاصة بالأجانب والتشريعات الخاصة بالوطنيين ؛ وبذلك صدرت قوانين استثنائية لحق الأهالي منها ضرر بليغ .

صحيح أن جلالة ملك مراكش الممثل بواسطة مندوب هو السلطة التشريعية العليا للمدينة ، وأن كل ما يخصها يصدر بمراسيم ملكية ، ولكن كل هذا من الناحية الشكلية فقط أما الحقيقة الواقعة فهي أن حق الاعتراض الذي يتمتع به أعضاء مجلسها قد أفقد المراكشيين كل سلطان ؛ وبينما يدفع الأهالي الوطنيون ٩٠ ٪ من ضرائب المدينة ، إذا بالأجانب يتمتعون بالمدارس الخاصة والقوانين الاستثنائية والامتيازات المجحفة أي إن الأجانب يعيشون فيها على حساب المراكشيين .

ولما كانت لبعض الدول الممثلة في المجلس أغراض معينة تعمل على تحقيقها ، ولما كانت هذه الأغراض المعينة تتضارب في بعض الأحيان ، ولما كان النفوذ يتنقل بالدور بين الأعضاء تحت الرياسة الاسمية لمندوب جلالة الملك — فقد تعرضت المدينة ونظامها للخلل بسبب كثرة الإبرام والنقض وفوضى الأهواء والنزعات .

ثم بعد ذلك نجد أن المدينة كانت تتمتع قبل النظام الدولي بنهضة ثقافية واجتماعية قد تعرضت في حياتها للشلل بسبب استفحال أمر الأجانب فيها ؛ وهكذا تعطلت فيها مشروعات الإصلاح كما تعطلت فيها الصحف العربية وهي التي كانت يوماً المهد الذي نشأت فيه الصحافة العربية المراكشية ، ويكفي أن نقول لكي نبرهن على مبلغ الضرر الذي ألحقه الأجانب بها ، أن لم تصدر فيها صحيفة واحدة باللغة العربية منذ نشأ النظام الدولي فيها ، وأن الصحف تصدر فيها بعدة لغات أخرى ، ذلك أن يوجد في القانون الذي صدر سنة ١٩٢٣ بند خطير يمنع الأهالي من القيام بأي نشاط سياسي مهما كان طابعه مراكشياً ، وهذا البند ينص على منعهم من مطالبة فرنسا وأسبانيا باصلاح الموقف في مراكش تحت ستار « منع الدعاية للقضية المراكشية » أو « عدم القيام بأي نشاط ضد نظام الحماية في منطقتي مراكش الخاضعتين للحماية الفرنسية والأسبانية » .

* * *

ولعل الأجانب قد أدركوا مساوىء هذا النظام ، ولذلك قرروا إعادة النظر فيه بواسطة عقد مؤتمر في خلال الشهور القليلة القادمة ، وأملنا هو أن يدركوا هذه الحقائق التي سردناها ، فيعيدوا إلى مندوب جلالة الملك سلطته الحقيقية ، ويفكوا عن مئة ألف من المراكشيين القيود الثقيلة التي فرضها عليهم نظام

سنة ١٩٢٣ بحيث تكون الأغلبية الساحقة من المراكشيين بنسبة ١٠ إلى ١٠٠ بحجة أنهم يؤلفون هذه النسبة الضخمة . ونحن نعرف أن المؤتمر سوف يتألف من أعضاء دول الجزيرة كما نعرف أن مراكش إحدى هذه الدول ، ولذلك يجب ألا تمثل فيه فحسب ، بل يجب أن يكون صوتها مسموعا وأن يكون هذا الصوت صادراً عن الشعب المراكشي ذاته .

ونحن متأكدون من أن أي نظام دولي مهما كان لونه لن يحقق مصالح هذه المدينة ولا مصالح القطر كله ، ولذلك يجب أن ينظر المؤتمر في مسألة مراكش كلها لا في مسألة طنجة وحدها ، على اعتبار أن المدينة غير منفصلة عن أمها الكبرى ، فلأجل بحث مسألة طنجة يجب البحث في مسألة مراكش كما يرجع الباحث في الفروع إلى الأصول .

إن الداء الوبيل الذي لن يستقر معه نظام في أي شبر من الأقاليم المراكشية هو نظام الحماية ، نظام التقسيم والتبديد والفوضى ، ذلك أن الأساس الذي يقوم عليه نظام الحماية في مراكش أساس فاشل ، وهو أساس يعبر عن قصر في النظر شنيع ، وهذا الأساس هو تقسيم مراكش إلى عدة مناطق . فلو فرضنا أن الأخاء والحرية والمساواة والعدالة تحققت — ولو في الخيال — في كل منطقة من هذه المناطق ، فان ذلك لن يغني فتيلا في إرضاء المراكشي ، لأنه ممنوع من أن يمد يده لصافحة أخيه ، ولأنه قد انتزع انتزاعا من أمه مراكش .

وإذن فليس هناك حل لهذه المشكلة المراكشية سوى إلغاء الحماية ، وإلغاء التقسيم ، وتقرير مبدأ جديد هو مبدأ الوحدة المراكشية ، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الوحدة — من وجهة النظر العملية — إلا بإلغاء الحماية وتقرير مبدأ الاستقلال ، ثم بعد ذلك تجتمع دول معاهدة الجزيرة الخضراء — ومنها مراكش — لتنظر في نظام جديد يحفظ كرامة المراكشيين ومصالح الأجانب في وقت واحد .

مبدأ الحماية والتقسيم مبدأ جائر تحمل المراكشيون بسببهما أفظع التضحيات ، ومبدأ الاستقلال والوحدة هو المبدأ الذي يجب أن يقوم عليه كل بحث يتعرض لأي جزء من أجزاء مراكش ؛ وكل حل غير هذا بعيد عن أن يثبت الأمن والنظام ، أو يضمن الديمقراطية لشعب حارب في سبيل الديمقراطية عشر سنوات كاملة في حربين عالميتين !

الديمقراطية ! إنها النظام الذي ساهم المراكشيون في تدعيمه بأعز ما يملكون من دماء ومع ذلك ما يزالون إلى اليوم محرومين من التمتع بأبسط مزاياها .

عبد المجيد بن جلون

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

قسم المعامل

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة الوكيل المساعد لوزارة المعارف بشارع الفلكي بالقاهرة لغاية الساعة العاشرة من صبيحة يوم الخميس ٢٥ أبريل ١٩٤٦ عن توريد أجهزة أشعة إكس للصحة المدرسية الآتي بيانها :

عدد

(١) ٢ جهاز أشعة إكس متنقل للتصوير الفوتوغرافي للجماعات .

(٢) ٤ جهاز أشعة إكس للعلاج من مرض القراع .

(٣) ١ جهاز للتصوير بالأشعة .

(٤) ١ جهاز لتحميض أفلام الأشعة .

(٥) ١ جهاز مقو لأفلام الأشعة

(٦) ١ جهاز للعلاج بالأمواج القصيرة .

ويمكن الحصول على نسخة من المواصفات والشروط الخاصة بهذه المناقصة من إدارة التوريدات بشارع الفلكي بالقاهرة نظير دفع مبلغ ٣٠ مليم (ثلثمائة مليم) ٥١٩١

وادى الخلود . . .

[مهداة إلى وفد الجنوب]

للأستاذ سيد قطب

على ضِفاف الخلودْ وفى شِعاب الزمنْ
والدهرُ طفلٌ وليد قد كان هذا الوطن

يا فجرُ من ذا رآك تطوف تلك السماء
وليس حيٌّ سواك تُهدى إليه الضياء ؟

رأتك تلك الضِّفاف رأتك تلك البُرور
رأتك قبل المطاف وأنت طفلٌ غرير

وشبتَ والدهر شابْ وحنَّكتْكَ الحياه
والنيلُ بادى الشباب والزهرُ يقفو خطاه

ينساب مثل النغم فى عزف نايٍ طروب
وكانسياب الحلم تُضفى عليه الغيوب

خريرُه صلواتْ مُعطَّراتُ النشيدْ
وموجُه أغنياتْ مرتَّلات القصيد

يا نيلُ كم من شِراع يا نيلُ كم من سفين
أسلَمْتَها للوداع على مدارِ السنين !

يا نيلُ كم من جُموع ماجتْ بتلك الضفاف
يا نيلُ كم من زروع وذى وذى للقطاف !

وأنت صِنْو الخلودْ وفى يديك الزِّمامْ
وكل عامٍ تعود مجدِّدَ الأيام

تَجرى فتجرى الحياه ويُمرِع الشاطئانْ
ويستفيق الرُّعاه وتمرحُ القطعان

وينشط الزرزور فيجمعُ العيدان
وعشُّه معمور بفرخه الوسنان

أكاد خلفَ القرون أحسُّ رِكزَ الجموع
أراهمُ مُهطِعين فى موكب للربيع

قد شمَّروا للحصاد وخلَّفوا « أمشير »
فى فرحة الأولاد تسابقوا للبُكور

وموكب للرَّواح فى كل يوم يَؤُوبْ
يرقُبه الفلَّاح على مدار الغروب

من الحقول الربعه إلى الحِمَى والديار
تضمُّ فيه الطبيعه عيالها الأبرار !

لُحونُهُ من صياح ومن رُغاء النَّعمْ
ومن رجيع النُّباح ومن حُداء الغَنَم

على مدار القرون يسيرُ فيه الرُّعاه
كأنهم خالدون ما بُدِّلوا فى الحياه !

أحبُّ فيك الخلودْ يا أيها الوادى
أحب فيك الصمود للقاهر العادى

تصبُّ فيك الوفود وأنت يقظانُ ساهر
تصوغهم من جديد كأنما أنت ساحر !

يا مهبط الأسرار من الغيوب العميقة
يا موطن الأسحار من القرون السحيقة

يأوى إليك الزمان خوف البِلى والفناء
يأوى لحصن الأمان فيستمد البقاء !

ووجهُكَ الفتان بلونه الأسمر
يا طالما يزدان بزرعك الأخضر !

ترنو له عيناى فى فتنة العاشق !
يا أرض يا دنياى يا آية الخالق

يا أرض كم تحلمين بالزهر أحلام شاعر
رؤاك طولَ السنين يا أرضِ تلك الأزاهر

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧١٣ — الله زاد من العجب

أمر بالكرم إن عبرت به تأخذني نشوة من الطرب
أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب

٧١٤ - ولكن أعلل قلبا عليلا

جحظة :

إذا ما ظمئت إلى ريقها جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقها ولكن أعلل قلبا عليلا

وريحك العروف يشمه أنفي
في خاطري مألوف مميزه العرف

يا أرض هذا الصعيد مقدس في ضميري
سري عليه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرط الحنين إليهم في شعوري
يردهم شاخصين إليّ خلف الدهور !

يا أرض سرّ دفين مغيّب في ثراك
يردنا موثقين إليك أسرى هواك

هذا الثرى المنثور في صفحة الوادي
عرفته في الضمير رفات أجدادي !

يا أرض هذا النشيد من وحيك العبقري
فنوّليه الخلود بسرّك القدسي

٧١٥ - على ما يقال

قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد :

وأطيب شيء إذا ذقته رضاب الحبيب على ما يقال

٧١٦ — أبو نواس الناسك

من مجون أبي نواس أن الأمير لما نهاه عن الخمر وحبسه ، فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب إليه :

أنت يابن الربيع علمتني الخير وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلي وراجعني الحلـ م فأحدثت عفة وزهاده
لو رآني ذكرت بي الحسن البصـ ري في حال نسكه أو قتاده
التسابيح في ذراعيّ والمسـ ـحف في لبتي مكان القلاده
فإذا شئت أن ترى طرفة نسـ ـجب منها مليحة مستفاده
فادع بي لا عدمت تقويم مثلي فتأمـل بعينك السجاده
لو رآها بعض الرائين يوما لاشتراها بعدها للشهاده
أثر لاح للصلاة بوجهي توقن النفس أنه من عباده
ولقد طالما شقيت ولكن أدركتني على يديك السعاده

٧١٧ — يعبد الله على حرف

قال أبو عمرو الزاهد : دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها أثر السجود ، فانحرفت العصابة إلى صدغه ، فأخذ الأثر هناك .

فقال له ابنه : ما هذا يا أبت ؟

قال : أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف .

٧١٨ — وبيانها سحر مقلتها

وصف أحمد بن أبي خالد جارية كاتبة فقال : كان خطها أشكال صورتها ، ومدادها سواد شعرها ، وقرطاسها أديم وجهها ، وقلمها بعض أناملها ، وبيانها سحر مقلتها .

٧١٩ — ينسى المصيبة

قال المبرد : لما توفيت والدة إسمعيل بن إسحق القاضي ركبت إليه أعزيه وأتوجع له ، فألفيت عنده الجلة من بني هاشم والفقهاء

والمدول ومستورى مدينة السلام ، ورأيت من ولهه ما أبداه ولم يقدر على ستره ، وكل يعزيه وقد كاد لا يسلو ، فلما رأيت ذلك منه ابتدأت بعد التسليم فأنشدته :

لعمرى لئن غال ريب الزما ن فينا لقد غال نفسا حبيبه
ولكن علمى بما فى الثوا ب عند المصيبة يسلى المصيبه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ورأيته بعد قد انبسط وجهه ، وزال عنه ما كان فيه من تلك الكآبة ، وشدة الجزع .

٧٢٠ — أنت الفداء لمن ابتدأ هذا فأحسن

قال عون بن محمد الكندى : كنا مع مخلد الموصلى فى مجلس وكان معنا عبد الله بن ربيعة الرقى ، فأنشد مخلد قصيدته التى يقول فيها :

كل شىء أقوى عليه ولكن ليس لى بالفراق منك يدان

فجعل[1] يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سلبتنى من السرور ثيابا وكستنى من الهموم ثيابا
كلما أغلقت من الوصل بابا فتحت لى إلى المنية بابا
عذبينى بكل شىء سوى الصد (م) فما ذقت كالصدود عذابا[2]

فضحك الموصلى ...

٧٢١ — هلا سبيل الصبا يخلص الى نسيمها

تزوج أبو الفرج بن الجوزى امرأة اسمها نسيم الصبا فأقام معها مدة ، ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه وطال بينهما الأمر . ثم حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين ، فتنفس الصعداء وأنشد قول قيس بن الملوح (مجنون ليلى) :

أيا جبلى نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها

(١) أى مخلد ، قائله .
(٢) العباس بن الأحنف .

أجد بردها أو تشف منى حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها

فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلها الرقة ، فحكت لبعض النساء ذلك فمضت فأخبرته فراسلها فأجابت فتزوج بها .

٧٢٢ — الأقيشر والشرطى

فى (الأغانى) :

شرب المغيرة بن عبد الله الملقب بالأقيشر يوما فى بيت خمار فى الحيرة ، فجاء شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه فغلق الباب دونه فناداه الشرطى : أسقنى نبيذا وأنت آمن .

فقال : والله ما آمنك . ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه . ثم وضع له أنبوبا من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل والشرطى يشرب من خارج الباب حتى سكر . فقال الأقيشر :

سأل الشرطى أن نسقيه فسقيناه بأنبوب القصب
إنما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطى ما هذا الغضب

٧٢٣ — وقع بين موسى وفرعون شمرية

قال الاصمعى : سألت أعرابيا وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شمرية[1]

٧٢٤ — مصيبتان

كتب أحمد بن يوسف الكاتب لبعض إخوانه من الكتاب وقد ماتت له بينا ، وقد كان له أخ يضعف :

أنت تبقى ونحن طرا فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جل خطب دهر أتانا بمقادير أتلفت بيناكا
عجبا للمنون كيف أتتها وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أصلح للمو ت من البيتنا وأولى بذاكا
ثلمتنا المصيبتان جميعا فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(١) شر خصومة شديدة ، فى الأساس : أجاءه الخوف إلى شر شمر أى جاء شرا فرده الخوف إلى شر منه ، وفى (اللسان والتاج) : معنى شر شمر إذا كان شديدا يشمر فيه عن الساعدين .

زوجتي ...!

وفاء ورثاء

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

سافر إلى نيويورك يوم الأحد الماضي الدكتور أحمد زكي أبو شادي ليقيم بها هو وأسرته ، وقد أرسل إلينا ليلة سفره هذه القصيدة ومعها كتاب يقول فيه :

« كان بودي أن أزورك مودعاً قبيل مبارحة وطني الذي لم تسمح لي الظروف بخدمته كما أود ، ولكن أحوالي الخاصة لم تمكني من مغادرة الأسكندرية لهذا القصد ، وسأبحر منها مع أولادي على الباخرة ڤلكانيا Vulcania يوم الأحد ١٤ أبريل وعلى فمي بيت المتنبي :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم !

وكان بودي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمة لا هذه المرثية الحزينة لزوجتي ولكنها أغلى ما أملكه الآن وقد ارتسمت فيها ذكرياتي وعواطفي وأشجاني »

كتب الله للدكتور السلامة ، ومن عليه في مهجره بطيب الاقامة .

ماذا تُفيدُكِ لوعتي وبكائي ؟ هذا قَناؤكِ مُؤْذِنٌ بفنائي !
أَسْدَيتِ عمركِ للحياة فأوفت ومضيتِ للأبرار والشُّهداء
لهفي عليكِ وقد أتيتُ مودِّعاً فبكيتُ فوق جبينكِ الوضاء
زاد الممات جمالَه وتناثرتْ مني الدموعُ عليكِ كالأنداء
كانت حُشاشتيَ المذابةَ حرقةً وبقيّةَ الكنوز من نَعمائي
فترنحتْ بفجيعتي، وتضوّعتْ بسريرتي ، وتلألأت بوفائي
ورَوَت مُحيّاً كان جنةَ نِعمتي وملاذَ تفكيري ووحيَ ذكائي
وطرحتِ آلام الحياة عزيزةً فبدوْتِ بين سماحةٍ وصفاء
وأقبّلُ الوجه الحبيب ، وطالما أودعتُ فيه صبابتي ورجائي
شملَ السلامُ هدوءه وتبدّدت غيرُ السنين، وزال بَرْحُ الدّاء
وأكادُ أنسى للممات خشوعه لما نسيتُ تجلدّي ومضائي
كم كنتُ أُعلّقُ بالخيال توهماً وأرى الشّفاء ولاتَ حين شفاء
ويغالطُ القدرَ العتيَّ تفاؤلي وأنا الخصيمُ لخِدْعةٍ ورياء
آبيَ اعترافاً بالممات ، كأنني لما بكيتُكِ قد أضِلُّ بُكائي
أو أن هذا الموت حق ثابت إلا على الأحباب والخلصاء
أو أن عيشي أن أراكِ بجانبي مهما هُزلتِ فلا يهدُّ بنائي

٢٦ ٠٣٣

أعتاضُ باللمحات عن أُغنيّةٍ وعن الحديث العذب بالإيماء
وأعدُّ أنفاساً وهَبْتِ، ذخيرتي وحفيفَ ألفاظٍ همستِ، رخائي
وأموّهُ الألم الدفين وأتّقي علماً به ، وأصدُّه بغبائي
وأكادُ أقسو في مُجانبةٍ له أوليس جسمكِ رمزَ كل نقاء؟
متنزّهاً عن كل ماشان الورى مترفعاً عن عِلّةٍ وعناء
حتى صُدمتُ ، ولا كصدمةِ شاهقٍ
متحطمٍ بصخوره الصمّاء
فجننتُ من حُزني وعِفتُ حصانتي
ودَفنتُ كلَّ رجاحتي العمياء !

* * *

لهفي عليكِ زميلتي في رحلتي وشريكتي في الصفو والضراء
لم أرْضَ غيري أن يسير مُشيّعاً أو أن تُوزّع حرقتي وعنائي
وكتمتُ نعيكِ، كم أضن بذكره وأحوطُه بنُهايَ واستحيائي
لبّيتُ رغبتكِ الزّكيةَ دائماً ووعيتُها نبلاً ولطفَ حياء
وجعلتِ مأتمكِ الرهيبَ عواطفي وبخلتُ بالتنويهِ والإفضاء
حتى تفجّر بي الأنين مَلاحماً وجرى النظيمُ بأدمعي ودمائي
ما كنتُ أحسبُ أن يومكِ سابقي أو أن أيامَ الحياةِ ورائي
كنا سَويّين للرحيل متاعنا ونُسَوّقُ الآمالَ غيرَ بطاء
ونهيبُ بالدنيا لتشهدَ حظنا ونهشُّ للأيامِ والأنباء
ونردُّ عاديةَ الأنامِ تسامُحاً مستغفرينِ لجاحدٍ ومرائي
متسابقين لنملأ الدنيا سَنَى بالحبِّ والإيثارِ والإيحاء
فإذا رحيلكِ للنّوَى، ووداعنا للحظّ ، والباقي الكليمُ ذَمائي
غدرت بي الدنيا ، كأني لم أسُغْ فيها الثناء فما أفادَ ثنائي
ووهبتها ـ كرماً ـ عزيزَ مواهبي فجنَتْ عليّ شهامتي وعطائي
اليومَ أدركُ أيَّ عبءٍ فادحٍ عني رفعتِ وما مدَى أعبائي
كم كنتِ أحلم بالهناءةِ والرِّضى لكِ في نهايةِ عُمركِ المتنائي
فأودُّ من قلبي بقاءكِ بعدما افنَى وأحسبُ في هواكِ بقائي
وأعدُّ عمركِ وحده عمري وما أرضَى سِواكِ من الحياة جزائي
فتناثرَ الحلمُ الجميلُ وأقفرَتْ دنياي من حُلمٍ ومن أضواء
وبقيتُ وحدي لاعزاء أرومُه والذكرياتُ تزيدُ من بُرحائي
يا طالما ناجيتها في نشوتي والبوم قد أصبحنَ من أعدائي
ما نِعمتي فيها ؟ وأنتِ هي التي جعلتِ بصُحبتها الأسى نعمائي

يامن فُتِنْتِ بكل ما هو رائعٌ ... وخلقتِ ألوان الجمالِ ازائى
ورسمتِ لى دنيا مُنوَّعة الشذى ... قدسيَّةَ الألحانِ والأصداء
وبثثتِ بى حبَّ الطبيعة فاغتدت ... أُمىَ ، أضعْتِ عزاءَها وعزائى
يامن غناؤكِ شدْوُها وحنينها ... وصداهُ فى قلبى الشجى غنائى
لما سكَتِّ تقاطرَتْ عبراتها ... واستسلمتْ للدَّوْعةِ الخرساء
ومضى الرَّبيع مع الشتاء فلم أجد ... إلا مظاهر وحشة وخلاء
تبكيكِ أخلص من وفت لرؤاها ... وتصوفت بروحها النعماء
ورأت بها الخير اللباب فما شكت ... منها وناجتها أرقَّ نجاء
وتناولت ألقَ النجوم فأترعت ... منه دنانَ الحب للشعراء
كم ألهمتنى من عُيونكِ صورة ... جمعت أحبَّ عواطفٍ ورؤائى
وتبسُّمٌ تتبسَّمُ الدنيا له ... ويغيب عن معنى وعن خيلاء
ورشاقةٌ ممسولةٌ ملحونةٌ ... كقصيدةٍ خلابةٍ عصماء
كم كنت أهتف بالنشيد ولم يكن ... إلا خطوط جمالك الوضاء
تجرى اليراعةُ فى يدى مزهوةً ... بتنزلى ، ويهزنى إملائى
مترعةً بالحبِّ بين ولائمٍ ... للزهر والأمواه والأضواء
وإخالُ فى دعةِ المروج جنانَنا ... وأشيم فى ألقِ الغدير سمائى
أيامَ كنا والشبيبةُ والهوى ... حلفاء فى أمنٍ من الغرماء
أيام كنا نستعيدُ تراءنا ... قُبلا ، ونضحك من غنى وثراء
أيام كنا الحاكمين بأمرنا ... الساكنين منازلَ الجوزاء
أيام كنا ذاهلين عن الرَّدَى ... نجرى ونمرح فى الربى الفيحاء
ونخوض موج البحر ملء دعابة ... متعانقين على هدير الماء
متحمسين كأنما خمرُ الصبا ... خمر الألوهةِ من أعزِّ سماء
متلهفين بكلِّ شىء لذةٌ ... ومطوعين المستحيل النائى
وإذا غضبنا عاد حبك غافراً ... وتعثرت شكواك عند ندائى
وفرحت بى فرح الحبيب بإلفه ... قد عادَ بعد مخاطرٍ هوجاء
عشنا السنين كأنها أنشودة ... علويةٌ جلَّت عن الغوغاء
متجددين ، وإذ فقدتك لم يكن ... فقدى لغير فتاتىَ الهيفاء
من رامها أهلُ الفنونِ نموذجاً ... للمبدعين ومن لها أهوائى
من صوتها الحلو الشجى سلافتى ... وحنانها المذب السخى دوائى
من لم تدع غير البشاشة وحدها ... تغشى خواطرها لنقدِ الرائى
من أشربت حب الدعابة سمحة ... واستضحكت لمصاعب الأشياء
من لم تر الدنيا سوى تغريدة ... فأبتْ هواجسها أشدَّ إباء
من لم تردَّدْ غير آمالِ الصبا ... لتردَّنى لطلاقتى ورضائى
من عشت أفديها بكل جوارحى ... فإذا الفداء يهونُ وهى فدائى
من علمتنى أن أقدس واجبى ... مهما شقيت فأستطيب شقائى
من لم تودِّعْ فى السقام وفاءها ... للناس حين مضوْا بكلِّ وفاء
من لم تفارقها الشجاعةُ مرة ... حتى الممات ، شجاعة العظماء
فمضت وخلَّتنى وحيداً عابراً ... قفرَ الحياةِ أنوء بالأنواء
هيمان ، قربك وحده مستنقذى ... ظمآن ، ليس سواكِ ريَّ ظمائى
أفتاتُ بالحزنِ المبرِّح راضياً ... وأعافُ كلَّ ملاحةٍ وسناء
وأضمت فى بعد موتك فى الأسى ... وكأنما صُوَرُ الجمال بلائى
من طالما ناجيتها متغزِّلا ... غرداً ، فمات بهاؤها وبهائى
كانت لروحى منك أُنسَ مدامة ... ومجالَ أشواقٍ ومرتعَ صفاء
ومثلتِ أنت بكلِّ ما أحببته ... فالآنَ أينَ تهافتى ومجانى
أين ابتسامتكِ الشذيةُ بالمنى ... والنورِ حين أهيمُ فى الظلماء
أين ابتداعكِ للحديثِ تفنُّناً ... وتسلسلا يغنى عن الندماء
أين اغتباطكِ بالمروءة والندى ... والعطف والغفران والإسداء
قبرَتْ كما غاب النهارُ أشعةً ... وكأنما أشلاؤها أشلائى
وتركت فى دنيا القساوة والأذى ... متهالكا أمشى على الرمضاء

* * *

قالوا : تصبر ! إن حولك رفقة ... منها ، وحسبك صفوةُ الأبناء
ورثوا مكارم خلقها وسماتها ... إرثاً تُدلُّ به على الآباء !
يا ليتهم عرفوا شمول عواطفى ... ووفاء وجدانى وصدقَ ولائى
شيم شقيت بها وما عف الورى ... فأثارهُمْ شمعى وفرطُ إبائى
وبقيت أسخر من جراحى هازئاً ... بفواجع الآلامِ والأرزاء
مستلهماً من لم تدعنى مرة ... فى الحادثاتِ أضيقُ بالأحياء
فالآن بعد ذهابها ومصابها ... لم يغننى شمعى ولا استعلائى !

* * *

تمضى الحوادثُ والسنونُ وتنقضى
أممٌ على أممٍ صباحَ مساء
ويظلُّ قلبى هيكلاً لكِ خالداً ... أبداً يرتِّلُ لوعتى ورثائى !

احمد زكى أبو شادى

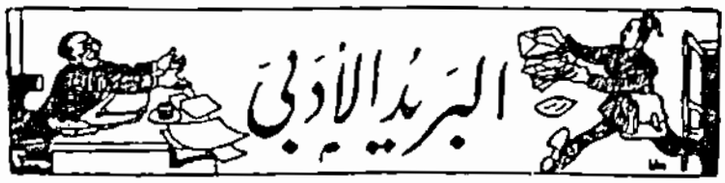

رواية من الفن العالي :

ليت الذين ينتصرون لعامية المسرح يشهدون رواية (تاج المراة) فى دار الأوبرا الملكية فيروا كيف تتسلسل العربية البليغة على أفواه الممثلين تسلسل الذهب ، وترن فى أسماع المشاهدين رنين الفضة ، وتؤدى معانى الكاتب الفرنسى النابغ أداء صادقاً قوياً لا تضيع فيه لمحات النظر ، ولا لفتات الذهن ، ولا براعة الحوار ، ولا حلاوة النكتة .

لقد كان تمثيل هذه الرواية نصراً عظيما للغة العربية وللفرقة القومية فى وقت واحد : كان نصرا للغة العربية لأنها استطاعت بدقة الترجمة وقوة التمثيل أن تبرهن لخصومها على أنها اللغة الطبيعية للمجتمع الحديث والمسرح المهذب . وهل تكون الطبعية شيئاً آخر غير هذا الانسجام العجيب بين الحركات والكلمات ، وبين المواقف والعواطف ، وبين التمثيل والواقع ؟

كانت اللغة لسلاستها ومرونتها أداة جيدة التوصيل بين المؤلف والمترجم ، وبين المترجم والممثل ، وبين الممثل والجمهور ؛ فالممثلون مندمجون فى أدوارهم لا يحسون نبواً فى العبارة ولا حرجاً فى الأداء ، والمشاهدون مأخوذون بسحر التمثيل وجاذبية الرواية لا يشعرون بوجود مستقل عن هذا الوجود الذى خلقه فى الفرنسية اسكندر دوماس ، وصوره فى العربية الأستاذ كامل البهنساوى !

ثم كان نصراً للفرقة القومية لأنها أقامت الدليل العملى على أن فى مقدورها أن تؤدى رسالة الفن على وجهها الصحيح إذا تهيأت لها الإدارة الرشيدة والتوجيه المصيب ، فقد كان الأداء خالياً من الشقشقة الخطابية ، والتمثيل بريئاً من البهلوانية المسرحية ، وهما البليتان اللتان باعدتا من قبل بين اللغة والطبع وبين المسرح والحياة .

فإلى المترجم الفاضل التهنئة الصادقة على جمال الترجمة وحسن الاختيار ، وللأستاذين والأستاذات : سراج منير ، وجورج أبيض ، وفاخر فاخر ، وإحسان شريف ، وأمينة رزق ، وروحية خالد ، الثناء الحق على روعة التمثيل وطبعية الحوار .

إلى الأستاذ بن مصطفى

لم يكن ما نشرناه فى « الرسالة » القراء عن « كعب الأحبار » تفصيلا لتأريخه ، أو استيعاباً لترجمته ، وإنما هو — كما ذكرنا — طرف صغير من أمر هذا الكاهن قبسناه من فصل طويل كسرناه فى كتابنا « حياة الحديث » — الذى لم يطبع بعد — على (الإسرائيليات فى الحديث) ، وحشدنا فيه كل ما عثرنا عليه من أدلة وحجج لاستيفاء بحثنا وتأييده .

على أنه مما يسرنا أن نقرأ كتاب (عمر بن الخطاب) الذى ألفه الأستاذان على وناجى الطنطاوى ، حتى إذا وجدنا فيه ما لم يكن فى كتابنا ، زدناه على بحثنا ، وجعلنا هذا الكتاب من مصادرنا .

هذا ، وإنى أشكر لك ما تفضلت به من لفت نظرنا إلى هذا الكتاب القيم .

(المنصورة) محمود أبو ريه

معرض الكتاب العربى الأول لسنة ١٩٤٦ :

تعتزم وزارة المعارف إقامة معرض يطلق عليه « معرض الكتاب العربى » لمدة أسبوع يبدأ من يوم الخميس ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦ بالسراى الصغرى بالجزيرة . والغرض من إقامة هذا المعرض هو التعريف بالمسائل الآتية :

١ — تطور حركة التأليف من فجر النهضة الفكرية الحديثة حتى الوقت الحاضر

٢ — تطور حركة الطباعة منذ إنشاء مطبعة بولاق الأميرية

٣ — تطور الصحيفة اليومية الإخبارية والدوريات الأدبية منذ قيام الصحافة فى مصر

٤ — تطور فكرة توضيح الكتب بالرسوم والصور

٥ — تطور الكتاب المدرسى من حيث موضوعه وطبعه .

٦ — تطور حركة التأليف للأطفال والشباب

٧ — نهضة التأليف والترجمة فى عهد المغفور له الملك فؤاد

٨ — النهضة الفكرية فى عهد صاحب الجلالة الملك فاروق .

هذا ، ويسر الوزارة أن يتفضل كل أديب بالمساهمة فى إقامة هذا المعرض بما يستطيع تقديمه على سبيل الإعارة .

وقد كلفت الوزارة مندوبها الدكتور ابراهيم جمعة مدير قسم المتاحف والمعارض الثقافية بالاتصال بعزتكم فى هذا الشأن رجاء التكرم باعلاننا ما يمكن تقديمه فى موعد غايته يوم السبت ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٦

(مراقب الثقافة العامة) (وكيل المعارف)

محمد عبد الوهاب عزام محمد شفيق غربال

« تاج المرأة » على مسرح دار الأوبرا الملكية

ما ألذ ساعة يقضيها الإنسان فى دار التمثيل يشاهد صورة حية من صور المجتمع ، ينقلها بوضعها الصحيح ، ووقائعها المحسوسة الملموسة ، ممثلون كأنهم أصحاب الصورة فى إبراز الشعور وفى أداء الأغراض التى رمى إليها المؤلف فى الابتداع ، وفى تقسيم الفصول ، وفى التفنن فى التمهيد لكل حدث يقع ، ولكل كلمة تلمح إلى ما يليها ، والنكتة المضحكة وما يتبعها من لذعة مؤلمة ، وأين تقع العقدة وأين ومتى يحلها وفق ما هو مفروض لمثله الأعلى الذى تصوره فى ذهنه قبل خلق روايته .

ما أحلى تلك الساعة وما أشهاها لنفس تعلم جيداً أن التمثيل سيبقى أبد الدهر برغم مزاحمة السينما له ودفعها إياه بمنكبها الجبارة من طريقها ، وأن بقاءه منوط بالحياة ذاتها ، والاستمتاع بها نفسها ، عن طريق المشاهدة والسمع ، بانتشار العلم بين جميع الأوساط ، وذيوع الثقافة الفنية ، والإحساس الواعى بفتنة الفن وسحره .

ما أحلاها ساعة يرى فيها نصير التمثيل أينما تلفت مقاعد دار الأوبرا ومقاصيرها وشرفاتها حافلة بأيقاظ الذهن والروح والشعور يطمئنون دعاة الأدب والفن على أن البلد بخير وعافية ، وأن نهضته صحيحة سليمة ، وأنهم يتلقفون صور الحياة ، ناطقة بالحياة ، حباً للحياة .

بل ما أحلى أن يمثل جيدا ، ويدرك جيدا ، ويعمل جيدا أولئك المشرفون على إبراز التمثيل إلى عالم الواقع ، أن من أقدس واجباتهم ، وأسمى غاياتهم إظهار ثقافة الأمة على حقيقتها ، والأخذ بيد هذه الأمة لتتوقل معها مدارج الصعود ، وأن هذا ميسور لها إذا قدرت أن مذهب الفن للفن هو رسالتها ، وأن كسب المال الوفير هو وسيلة لا غاية .

لقد نعمت بهذه الساعة السعيدة فى دار الأوبرا حيث كانت فرقة التمثيل تمثل رواية « تاج المرأة » لمؤلفها دوماس العظيم ، ومترجمها الأستاذ الفاضل كامل البهنساوى .

لقد نعمت فعلا بساعة سعيدة ، كانت تتجاذبنى خلالها انفعالات شتى ، وأحاسيس متنوعة ، واضطرابات تميل بى تارة إلى كل جانب استجابة لعواصف الحياة وهى تعصف هوجاء دائما على غير قياس وبدون تدبر ، وقد نسقها فأبدع تنسيقها مؤلف عظيم موهوب فطر على انتزاع أسرار الحياة ليبسطها على المسرح ، وتارة تجذبنى جمل وألفاظ ، وإيماءات وإشارات وتنقلات ، وانخفاضات فى الصوت وارتفاعات ، ولين فى مخارج الكلمات أو شدة ، وانفعالات واضحة فى قسمات الوجوه ، واللواحظ والابتسامات أتقنها الممثلون والممثلات أجود إتقان . ولم تصدم سمعى كلمة واحدة نابية ، أو جملة واحدة مخلخلة قلقة ، أو لفظة تدل على أن المترجم لم يؤد الأمانة حقها ، أو إلى ضعف فى التوفيق بين اللغتين الفرنسية والعربية ، أو التصرف والتهاون ولو قليلا فى مقاصد المؤلف ، أو التراخى فى إبراز روحه العظيمة على حقيقتها فى العظمة والجلال ، هكذا يكون الانسجام الحقيق بين المؤلف والمترجم والممثل والمخرج ، فيمثلون روح الرواية الواحدة كل من ناحيته متساندين .

إنها لساعة تدفع بى بغير تحفظ إلى إسداء الشكر لهذه الفرقة التى أتحفتنا بتمثيل هذه الرواية فى هذا الفصل ، وكنت أود أن أطالبها المزيد من هذه الروايات الرفيعة ، لأنها على الأقل تنفع كتاب الرواية المسرحية منا فتفتح أمامهم آفاقاً لم يجرؤوا بعد على ولوجها ، فضلا عن أنها تعالج مشكلات اجتماعية لا تختلف عن مشكلاتنا الاجتماعية والخلقية والعائلية فى وسطينا الراقى والوسط ، ولكنى أوفر على نفسى مطالبة هذه الفرقة التى لا تريد أن تعترف بأن لها رسالة ثقافية ، وأن عليها واجبات نحو الأمة والحكومة .

حبيب الزحلاوي

الأوذيسة ... !

بين هوميروس ودربنى خشبة

للأستاذ زكى المحاسنى

أين أنت يا عولس بعد أن دكّت العصور عهدك القديم ، وهدمت حرب الأمس قومك الحديث ، وضاع كل شيء من آثارك إلا كتاباً خلدك بين أناشيده هوميروس أبو الشعراء ؟

هلمَّ عولس من أطباق تراك إن كان معروفاً تراك ، وجيء حي العربية تلق كتابك فيها منشوراً ، وذكرك بلسانها مسطوراً.

تلك هي « الأوذيسة » تنشر في لغة العرب اليوم أول مرة ، ولئن سبق الأستاذ دربني خشبة فأخرج للناس « قصة طروادة » ، فإنما كانت « الإلياذة » معروفة لدى العرب المحدثين منذ نظم ملحمتها الكبرى سليمان البستاني بلغة الضاد .

ولئن لم يكن للأستاذ خشبة في « قصة طروادة » سابقة التعريب ، فقد كانت له فيها طرافة الرواية ورقة البيان ، وقد كثر فيها صليل السلاح وعراك الحروب ، فدارت حوادثها في البطولة والحماسة . أما « الأوذيسة » ، فأكسبت الأستاذ خشبة سابقة النقل إلى العربية منذ نظمها « هومير » باليونانية العتيقة ، وكانت سيرة الأخطار في البحار ، وغرائب الحدثان في الحب والوفاء.

وقد ذكر المؤرخون أن العرب في العصر العباسي عرفوا « الإلياذة » وترجمها المرحوم « الرهاوي » أحد المقربين من الخليفة المهدي . أما « الأوذيسة » ، فلم أجد أحداً من المؤرخين وأهل الأدب القديم قد ذكر أن العرب ترجموها أو عرفوها ، فأكبر عندي ذلك أن أجدها اليوم بالعربية في جملة آثار النهضة الثقافية التي تهب في هذه الآونة على وادي النيل .

لكن الأستاذ خشبة لم يلزم ترجمتها في النص ، ولا رعى الأناشيد في الشعر ، وإنما ابتكر طريقة أخذ نفسه بها في سرد الأدب اليوناني القديم منذ أخرج كتابه الأول « أساطير الحب والجمال عند الإغريق » ، وهي طريقة تنزع إلى الفن ومرانته أكثر مما تم بالتاريخ وجموده . إن حوادث « الأوذيسة » لتي وعي راويها الأديب الذي يجيء بها على أنماط قصصية آخذ بعضها بهامات بعض ، وهو بهذه الطريقة ذو سابقة أيضاً في أخبار الأساطير .

يتجهم لهذا الفن القصصي ناس يؤثرون عليه ترجمته بالنص، وقد يعسرون فيطلبون أن تكون الأوذيسة شعراً في العربية على نمط ما فعل البستاني بالإلياذة ، لأن ذلك أبقى للأثر وأقرب تقليداً لأصله ، وإن مذهب هؤلاء النقاد في نثر كان شعراً هو مذهبهم في ماء كان خمراً .

لكن أمثال أولئك الناقدين إذا ألموا بهذه الأوذيسة وتركوا مذهبهم قليلا ، أنساهم أسلوب الأستاذ خشبة تلك الشروط ، فراحوا مغمورين بسحر من القول وبراعة في الوصف ، فجاسوا بأنظارهم خلال الحدثان منذ انتهت الحرب الطروادية ، حتى عاد عولس إلى بلاده ، فإذا فرغوا من كل ذلك حصلوا على السيرة الثانية التي تركها هوميروس ميراثاً للآداب العالمية .

ضاع عولس في اليم وتفرق شمل صحابه ، وأروع ما على اليم من أخطار تلك الجزيرة التي كان يملك عليها بوليفيم زعيم السيكلوب الإنسان الجبار . أما وصف بوليفيم ، فنسج أسطورة مغرقة في الخيال . كان على هيئة إنسان ضخم كجذع شجرة السنديان عريض الألواح ، وكان طوالا جسيما ، يداه كمنصبين ، ورأسه كصخرة كبيرة ، إنه ليستطيع أن يضع في كفة إنساناً ، وأن يطبق أصابعه عليه . أما جبهته ، فصفحة مبسوطة في وجهها عين واحدة كفم البئر .

ومشى مهرولا ، فاهتزت الجزيرة التي أرسى عليها مركب عولس وصحابه ، وأحس عولس ورفاقه أن الكهف الذي أووا إليه يكاد يكون لهم مرقد المنية ، فها هو ذا بوليفيم مقبل نحوهم بقطيعه يهش عليه بشجرة لها فرعان ، كل فرع منهما كعمود

المركب الكبير . أما أغنامه فكالثيران مرسلة الشعور إلى الأرض لحومها غذاؤه ولبنها شرابه .

ودخل الكهف البوليفيم فوجد ضيوفه ، فلم يحسن لقاءهم ؛ وإنما أخذ باثنين منهم فألقاهما في الفضاء حتى نطحا برأسيهما سقف الكهف ثم انحطا على الأرض هشيمين ، فأكلهما شيّاً على النار بغير سفود ، وجلس يتلمّظ فسدّ باب الكهف بجسمه وأخذ يغط في نوم عميق .

فريع عولس وصحبه وعرفوا موتهم عند انتباهته ، فاحتالوا له في يومهم الثاني . فتقدم إليه عولس بكيده ودهائه وسكب في فمه زق خمر معتّقة من دنانِ القسّ فوبوس إلّه آزماروس . فكرعها الوحش وسكر بنشوتين ، ثم نام . فهب عولس وجمعه إلى النار فأوقدوها وأشعلوا رأس ذلك الغصن الذي يهش به الوحش على غنمه ، وفقأوا عينه كما يطفىء الحداد عمود الحديد المشتعل بحوض من الماء .

وكان عولس حين تقدم إلى الوحش بخمره فسأله عن اسمه أجابه : إسمي أوتيس . ومعناها (لا أحد) . فلما أحس الجبار بهول النار صرخ صرخة دوّت في الجزيرة حتى مادت . فريع الجبابرة وجاؤوا ركضاً يسألونه الخبر ، وكان الظلام مطبقاً على الكهف وما حوله . فسألوه من آلمك أو قتلك . فقال وهو يجود بالنفس الأخير : لا أحد .

فانصرفوا وهم به هازئون .

***

تلك حوادث عولس وهي كثيرة منذ انصرف الآشيون إلى أمصارهم بعد أن فتحوا طروادة وخربوها . عاد ملكهم آغاممنون جريحاً إلى بلاده متحاملا على نفسه ، وارتمى البطل مينيلاس على شواطىء مصر ، وغرق آجاكس عند الصخور التي تتلاطم عليها أمواج البحر . أما عولس فقد كتب له أوفى نصيب من العذاب فظل السنين المديدة في جزيرة كاليبسو أسيرا عند الجن ، أو مطروحا على ثبج البحر بمركبه القلق من جزيرة إلى جزيرة ، وكان ابنه تليماك يقطع الآفاق بالبحث عنه راكبا على عجلة بمنحة أعطاه إياها نبطور الساحر .

يقول « كروازى » في كتابه عن الأدب اليوناني القديم : (لئن كانت الإلياذة قصة السير إلى الغزوة ، أو الغزوة ذاتها فإن الأوذيسة إذن هي قصة العودة) .

وعلى مثال كروازى يحاول من يدرس الأوذيسة أن يؤرخها وينقدها ، ويبين وجوه الصحة والأصالة فيها ، ووجوه الوضع والاختلاق ، وكل ذلك لم يتعرض إليه الأستاذ دريني خشبه لأنه أسلف الكلام عليه مجملا في مقدمة الإلياذة ، ولو فصل الكلام فيهما بعض الفصل لجعل لكل منهما مقدمة خاصة لكان ذلك بها أجدى وبقنه أوفى .

وكأن القادر قد سيرت قلم الأستاذ خشبه ، فقد أخرج الإلياذة والحرب في دنيانا قائمة . وكانت الإلياذة تاريخ حرب مصبوغا بالدماء يشتجر فيها الحديد وتستعر النار . فلما وضعت الحرب أوزارها وسكنت أصوات الدافع أخرج أمس للناس قصة الأوذيسة وكانت الأوذيسة سيرة الصداقة والمحبة ، والوفاء والألفة ، بعد الشقاء والعذاب .

زكي المحاسني

صادر بافتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد

شعاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحاليل قصصية على نهج القارئ

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوي

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

كتاب الفصول والغايات

معجزة أبي العلاء المعري

لم تبق منه إلا نسخ معدودة

الثمن أربعون قرشاً

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

زوروا :

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتي

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر	فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٨ ٠٠ إلى الساعة ١٣ ٣٠	من الساعة ٨ ٣٠ إلى الساعة ١٤ ٠٠

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم ٤١٩٦٤

دار الكتب الأهلية بميدان إبراهيم باشا بمصر تليفون ٤٩٥٦١

تقدم القائمة الأولى ببعض مطبوعاتها

ص	
٤٠	مستقبل الثقافة فى مصر جزآن للدكتور طه حسين
٣٠	زهرة العمر للأستاذ توفيق الحكيم
٢٥	شجرة الحكم » » »
٢٥	سليمان الحكيم » » »
٢٠	عجالبون » » »
٢٠	راقصة المعبد » » »
٢٠	سلطان الظلام » » »
١٥	رصاصة فى القلب » » »
٢٠	أهل الكهف » » »
٢٠	شهر زاد » » »
٣٠	الأوديسة للاستاذ دوبنى خشبة
٢٥	الالياذة » » »
٢٥	فلسفة الأخلاق فى الاسلام للاستاذ محمد يوسف موسى
٢٥	المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » » »
٣٥	رسالة الغفران المعرى شرح الأستاذ كامل كيلانى
٣٠	مغامراتي فى أوربا للاستاذ عبد المنعم حسن
٢٠	البعث للشاعر ابن محمود
٢٥	النساء خائنات للاستاذ عصام
٣٥	السيف والنار فى السودان لسلاطين باشا
٢٠	الزواج والمرأة للاستاذ أحمد حسين
٢٥	قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة للدكتور توفيق الطويل
٢٠	من والد الى ولده للاستاذ أحمد حافظ عوض
٢٠	صور جديدة من الأدب العربى للاستاذ كامل كيلانى
١٥	حدث فى باريس للاستاذ أحمد عطية الله
١٥	هكذا أغنى للشاعر محمود حسن إسماعيل
٢٥	رحلات للاستاذ عبد الوهاب عزام
١٥	الاستمتاع للاستاذ سليم سعده
١٥	ساره للاستاذ العقاد
١٥	هتلر فى الميزان للاستاذ العقاد
٢٠	غانيات للصاوى
٢٠	العاصية للصاوى
١٥	النجاة لابن سينا
١٢	حديقة الحلويات للاستاذ عز الدين فراج
١٢	الفاكهة قيمتها الطبية والغذائية للاستاذ عز الدين فراج
١٤	التعاون للاستاذ أحمد لاشين
١٥	مصرع فرنسا للاستاذ محمد عبد الحميد
١٢	فى بيوت الناس للاستاذ سليمان نجيب بك
١٥	ديوان المحاسبة فى الميزان سعد الدين سلامة
١٥	الوجديات للعلامة محمد فريد وجدى

ص	
١٥	الحرب الحديثة للاستاذ رياض محمود
١٠	النقده للاستاذ محمود تيمور
١٠	ألف باء الكهرباء للاستاذ عبد العزيز محمد
٢٢	ألف باء التجارب الكهربائية للاستاذ عبد العزيز محمد
١٠	خلاصة فنون الحرب لمصطفى حلمى عزب
١٠	الكتريولوجيا الزراعية محمود مصطفى الدمياطى
٨	هنرى الثامن عبد الرحمن فهمى
٦	بولين أبو بكر المنفلوطى
٥	أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى لعبد العزيز جاويش
٧	كيف تتجح فى الحياة أبو الخضر منسى
٧	الدماء سعاد منسي
١٠	أشواق للشاعر محمود أبو الوفا
١١٠	هاملت سامي الجريدينى
١٠	خمسة فى سيارة سامى الجريدينى
١٠	الرسائل الضائعة سامى الجريدينى
١٥	منار الرشيد ابراهم السيد
١٨	الفنون الجميلة محمود فؤاد
٣٥	على إطلال المذهب المادى فريد وجدى
١٠	فن القراءة والالقاء مصطفى الدمياطى
٦	يوم مع قدماء المصريين محمد صابر
٢	التمرينات الرياضية محمود كامل
٣	الألعاب السويدية إبراهيم أبو جبل
٣	التمرينات الفرنسية فتحى عزبى
٨	الانفصال الشبكى دكتور عطا الله فهمي
٨٠	العين فى الصحة والمرض دكتور عطا الله فهمى
١٥	تاريخ الطيران على محجوب
٢٠	مسائل الشرق جزءآن أوجين يونغ
١٥	قصد الشارع من وضع الشريعة للشيخ محمد منير
٢٥	التصوير والحفر للاستاذ رياض شحاته
١٢٠	المنجد قاموس عربى آخر طبعه للاب لويس اليسوعى
٤٥	منجد الطلاب قاموس مدرس عربي للاب لويس اليسوعي
٥	من أمير إلى سلطان مصطفى فاضل باشا
٦٠	مكتبة الحبيب للثقافة ٥ أجزاء مجلده لفريد بك رفاعى
٢٠٠	قاموس سعادة إنجليزى عربى مجلد ١٧٠٠ صفحة كبير
٢٥	روح الاشتراكية غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر
١٠	أدب الدنيا والدين للحصرى
٥٠	الخلق الكامل أول وثانى جلد المرحوم بك
٣٠	النزعات الاستقلالية فى العصر العباسى للاستاذ عبد الفتاح الدرنجاوى

يضاف ٢٠ /٠ مصاريف إرسال وكل طلب غير مصحوب بنصف القيمة لا يمكن إرساله . المراسلات : باسم رشدى خليل

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)